ديوان
قيس بن المُلَوَّح (مجنون ليلى)

رواية أبي بكر الوالبي



دراسة وتعليق

يسري عبد الغني

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
أسسها محمد علي بيضون
سنة 1971 بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-0843-3

90000>

9782745108432

http://www.al-ilmiyah.com.lb/

e-mail : sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

[مفتتـح]

ولا خيرَ في الدنيا إذا أنت لم تزرْ

حبيباً ولمْ يَطربْ إليك حبيبُ

(مجنون ليلى)

اللسان العربي

[مـــدخل]

- أشهر غرام في التاريخ : المجنون حقيقة بالأدلة القاطعة!!
- بين يدي ديوان مجنون ليلى
- حكاية رجل اسمه الوالبي!

[أشهر غرام في التاريخ]

ربما لم تشتهر قصة غرام في تاريخ أدبنا العربي كما اشتهرت قصة مجنون ليلى أو ليلى والمجنون، وربما لم تتسع صفحات مصادر الأدب والتاريخ لأخبار شاعر عربي كما اتسعت لأخبار قيس ابن الملوح (مجنون ليلى)، وربما لم تنسج ألوان مختلفة من القصص والحكايات والأساطير حول علاقة حب كما نسجت حول علاقة مجنون بني عامر بليلاه. ومن هنا فإن قصتهما كانت ولا تزال ـ موضوعاً من أهم الموضوعات التي احتلت مكان الصدارة من عناية الأدباء والباحثين حتى يومنا هذا.

وقيس بن الملوح أو مجنون بني عامر، كما عرف واشتهر بذلك هو واحد من شهداء الحب العذري الذين سجلوا في التاريخ أروع قصصه وأنبل عواطفه، لقد شهدت مطالع الدولة الأموية حياة قيس بن الملوح (المجنون) في حين كانت وفاته ما بين (٦٥ هـ) أو (٦٨ هـ).

ـ لقد شهد «حي بني عامر» في بوادي الحجاز العربية بين مكة المكرمة والمدينة المنورة ـ صراعه العنيف مع تلك العاطفة المشبوبة التي ملأت عليه قلبه وحسه، واستغرقت أيامه ولياليه، فلقد تفتح عليها قلبه وهو حدث صبي، ثم أخذت تشب معه وتتضح في أحاسيسه يوماً بعد يوم، وتستهلك عمره سنة بعد سنة، حتى قضى حياته في هيام وغربة، في حرمان ولوعة.. ثم مات وحيداً شريداً في وادٍ منعزل كسير الفؤاد، لا تدمع عليه عين ولا يخفق من أجلهِ قلب، وظل جثمانه بالعراء حتى بحث عنه أهله فوجدوه ثم حملوه إلى مثواه الأخير ليواروه التراب وهو لم يشفِ قلبه من ذلك الحب النقي الطاهر الذي عاش عمره من أجلهِ ومات في سبيله.

وثمة روايات وأخبار مختلفة تشير إلى تلك الظروف التي نبتت فيها علاقة قيس بليلى العامرية:

١ ـ بعضها يقول: انهما تعارفا صبيين حينما كانا يذهبان لرعي البهم والماشية عند جبل يقال له (جبل الثوبان) ثم ظلا كذلك حتى نمت عواطفهما الطاهرة وترعرعت.

٢ ـ وبعضها يقول: إن قيساً مرَّ يوماً يوماً بفتيات فسلم عليهن فبادلنه السلام ودعونه للحديث فنزل عن مطيته (دابته) وتحدث إليهن وعقر لهن ناقته وأطعمهن.

وفي المساء أقبل فتى آخر فشغلن به عن قيس فأغضبه ذلك وقال شعراً فلما أصبح تعرض لهن فلم يجدهن ولكنه وجد ليلى فدعته إلى الحديث فاستجاب وصنع لها مثل ما صنع مع صويحباتها بالأمس، فأظهرت ليلى إعراضها عنه فأصابه لذلك هم شديد، فما كان من ليلى إلا أن رفقت به وأعلنت له حبها في شعر لم يكد يسمعه حتى خرَّ معشياً عليه!!

٣ ـ وتذهب بعض الروايات والأخبار إلى تصوير قيس بن الملوح بصورة حيوانية، حيث تذكر أنه كان شديد الولع بالنساء، وأن ليلى العامرية كانت من أجمل وأملح نساء حيها قاطبةً، وأن رفيقاتها كن يقصدنها ويجلسن إليها ويسمرن معها فترامى خبر ذلك إلى قيس فسعى إليها وضم نفسه إلى مجلسها فكان من أمره معها ما كان.

* * *

ومهما اختلفت الروايات والأخبار في تصوير الظروف التي باشرت ميلاد ذلك الحب فإنها جميعاً تتفق على شيء واحد هو إثبات حب قيس لليلى، وأن قيساً شخصية حقيقية موجودة بالفعل، وكذلك ليلى العامرية شخصية حقيقية موجودة.

ولكن الاختلاف في الأخبار والروايات التي قرأنا مضمونها في كتب الأدب يتضح في أطوار تلك القصة وظروفها ولعل ذلك هو الذي دعا بعض الباحثين إلى الحذر في تصديقها؛ بل قد دعاهم إلى إنكارها والتشكيك فيها.

ولعل من أبرز الأسماء التي تطالعنا في هذا الصدد زعيم الشك العربي الاستاذ الدكتور/طه حسين (رحمه الله)، فلقد كان للمنهج الذي اتبعه في معالجة الأدب العربي القديم وهو منهج الشك أثر بالغ الخطورة في النتائج التي انتهى إليها في بحثه لقصة مجنون ليلى وغيره من شعراء الغزل العذري الذين ترددت اسماؤهم في هذا المجال من أمثال: جميل بن معمر (جميل بثينة)، وقيس بن ذريح (قيس لبنى)، وعروة بن حزام (عروة عفراء)، ونحن لا نعترض على منهج الشك الديكارتي في ذاته فهو منهج قديم تقتضيه ضرورة البحث العلمي السليم الذي يهدف إلى الوصول إلى الحقيقة العلمية في جوٍ من الطمأنينة واليقين العلمي، ولكن الذي نعترض عليه هو الطريقة التي اتبعها

الدكتور/طه في تطبيق هذا المنهج إزاء هذه القصة قصة ليلى والمجنون بوجهٍ خاص.

فالدكتور/طه حسين يقول بالآتي:

١ ـ يشك شكاً أكيداً في شخصية مجنون ليلى، بل لا يكاد يصدق أنها شخصية حقيقية عاشت كل تلك الظروف التي صورتها أخباره وأشعاره.

وأعتقد ما وصل إليه د. طه نتيجة خطيرة ما نحسب أن سنده فيها يضاهي قدرها من الخطورة فهو يستند في إثبات ما وصل إليه إلى أمورٍ ربما كان من السهل أن نردها أو على الأقل نضعف من قوتها.

٢ ـ الدكتور طه يقول (مثلاً): إن الرواة لم يتفقوا على اسمه.

٣ ـ الدكتور طه يقول: الرواة لم يتفقوا على الأحداث التي زخرت بها حياته.

٤ ـ ويقول: لم يتفقوا على وجوده كلية.

ونقول بدورنا:

أ ـ إن الرواة لم يتفقوا على اسمه فتلك ظاهرة نصادفها كثيراً جداً وبخاصة بعض الأعلام التاريخية والأدبية التي لم يشك أحد في وجودها حتى الدكتور/طه ومنهجه الشكي، فمثلاً الصحابي الجليل: أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، روي اسمه مرة على أنه جندب بن جنادة، ومرة على أنه جندب بن عبد الملك، ومرة على أنه بَرْبَر، وأخرى على أنه بُربر... إلخ

وكذلك الأحنف بن قيس المشهور بالحلم والصفح وأحد زعماء بني تميم العرب روي اسمه مرة على أنه الضحاك، ومرة على أنه صخر، ومرة على أنه الحارث..

وكذلك أعشى تغلب: ذلك الشاعر المشهور روي اسمه مرة على أنه عمرو بن الأهيم أو الأهم، ومرة على أنه عمرو بن الأيهم، ومرة على أنه عمير بن الأيهم، ومرة على أنه ربيعة بن بخوان، ومع هذا الاختلاف الكبير فإننا لم نشك على الإطلاق من الناحية التاريخية في أن هؤلاء الاعلام أشخاص حقيقيون يرتبطون بأحداثٍ وبتاريخ واضح ومشهور لنا جميعاً.

ب ـ إن الرواة لم يتفقوا على الأحداث التي تنسج خيوط قصة ليلى والمجنون فما نحسب أن هذا يدفعنا بأي حالٍ من الأحوال إلى انكار وجود قيس بن الملوح كلية، وإنما المعقول أن يدفعنا إلى تمييز هذه الأحداث والنظر فيها جيداً وإبطال ما يجنح منها

إلى التطرف والمبالغة، ثم ربطها بالشاعر المنسوبة إليه وذلك حتى تتضح لنا بالمقارنة والاستنتاج ملامح الشخصية المعقولة التي تتضافر الأخبار والأشعار معاً على إثباتها.

جـ ـ أما الحكم بإنكار شخصية لمجرد الاختلاف في تصوير الأحداث التي عاشتها تلك الشخصية فهذا في رأينا نوع من الإسراف في تطبيق هذا المنهج الذي التزمه عميدنا الدكتور/طه حسين ومن تابعه من (الطحاسنة).

د ـ أما أن الرواة لم يتفقوا على وجوده، فنحن نرى أنه ما دمنا سنعتمد في هذه الناحية على جانب الرواية فإن عدد الرواة الذين نفوا وجود مجنون ليلى أو شكوا في وجوده لا يقاس كثرة ولا صدقاً بعدد الرواة الذين رووا أخبار قيس بن الملوح، وأكدوا وجوده، وإذا كان الدكتور/طه حسين يقلل من الثقة في الرواة الذين رووا أخبار قيس فإنه يكفي أن نذكر له طائفة من الرواة الذين عرفوا بالثقة الكاملة من أمثال:

- يونس النحوي.
- أبي عمرو الشيباني.
- محمد بن السائب الكلبي.
- هشام بن محمد الكلبي.
- الأصمعي.
- أبي عبيدة.
- الهيثم بن عدي.

وكل هؤلاء إما معاصر لمجنون ليلى العامرية أو متأخر عنه بقليل.. ولقد أراد الدكتور/طه حسين بعد ذلك أن يعضد رأيه بطريقة أخرى قال إنها طريقة فنية ليست من التاريخ في شيء.

تلك هي [الاحتكام إلى شعر المجنون]، فإن ذلك الشعر على ما قال الدكتور/طه سيثبت أحد شيئين.

١ ـ إما أنه مصنوع، متكلف، اخترع اختراعاً، فهو لا يعبر عن عاطفة صادقة، ولا عن حب صحيح.

٢ ـ وإما أنه قد صدر من أشخاص مختلفين ثم خلطه الرواة سهواً أو عمداً وأضافوه إلى شاعر واحد هو مجنون ليلى.

ولسنا ندري في حقيقة الأمر ما الذي يقصده استاذنا/طه حسين بهذه الطريقة

الفتية؟ وما العلاقة بين هذين الاستنتاجين اللذين أشار إليهما من أن الشعر الذي نسب إلى المجنون إما مصنوع متكلف، فهو لا يعبر عن عاطفة صادقة، وإما أنه قد صدر عن أشخاص مختلفين ثم خلطه الرواة ونسبوه إلى مجنون ليلي ـ وهل هو في هذه الحالة الأخيرة يكون غير متكلف ولا مصنوع؟! وهل هو في الحالة الأولى سلم من عبث الرواة وخلطهم، فهو إذن لشاعر واحد!!

إنه على الرغم من عدم وضوح تلك الطريقة فهي فيما يبدو لنا تتضمن من كلا الاستنتاجين إثبات شخص نسب إليه ذلك الشعر، فهو في الاستنتاج الأول يفرض أن ذلك الشعر لشاعر واحد ولم يزيف عليه شيء. ولكنه متكلف لا يدل على عاطفة!!

ونحن نسأل: من يكون هذا الشاعر الواحد الذي صدر عنه ذلك الشعر....

والدكتور/طه في الاستنتاج الثاني يفرض أن ذلك الشعر قد صدر عن أشخاص كثيرين ثم خلط بينه الرواة وأضافوه إلى المجنون.. ونحن نسأل هنا أيضاً: أليس هذا العمل من قبل الرواة دليلاً على وجود شخصية حقيقية للمجنون ينسبون إليها ذلك الشعر ومع هذا كله فإن الشيء الوحيد الذي يمكن أن يمدنا بالدليل الصادق على وجود شخصية حقيقية للمجنون إلى جانب الرواية هو شعره ـ وهو الافتراض الثالث الذي أغفله طه حسين.

إن الذي يقرأ شعر المجنون قراءة عميقة فحواها الاستبطان والتأمل الدقيق للحالات النفسية التي يصفها كشاعر ويعبر عنها ليحس إحساساً لا يخامره شك بأن ذلك الشعر العاطفي الرقيق معبر عن عاطفة صادقة مشبوبة، وبأنه مرتبط بمواقف نفسية مفعمة بالحرارة والصدق وبأنه التجربة التي يصدر عنها تجربة معاناة حقيقية ومكابدة وحرمان، تجربة عنيفة قاسية لا بد أن تفيض بذلك الشعر الصادق الذي يصف حدودها وأبعادها ويصور كافة أحداثها ومواقفها.

إن ديوان الشعر الذي ينسب لمجنون ليلى حين نقرأه نحس بأننا أمام شعر يوحي للوهلة الأولى بصدق العاطفة وعمق التجربة، ولا يمكن أن يوحي بأي حالٍ من الأحوال بزيف أو افتعال، وأن الذي قال هذا الشعر لم يعانِ تجربة حب حقيقية وعميقة وعنيفة أيضاً.

والدكتور/طه حسين يقول: إننا لا نستطيع أن نجد للمجنون شخصية ظاهرة بينة في هذه الأشعار الكثيرة المختلفة التي يرويها له أبو الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني وغيره من الرواة...

وهذه القضية وإن صدقت على غير المجنون من الشعراء العذريين فإنه لا يمكن أن تصدق على مجنون ليلى، ذلك لأننا لم نجد شاعراً تتضح شخصيته وتبرز معالم تجربته في شعره كما نجدها عند المجنون.

والذين يشتغلون بالدراسات النفسية أو الذين يميلون إلى جانب النقد النفسي يستطيعون أن يكتشفوا بيسر الروابط المتينة بين شعر مجنون ليلى وشخصيته على ضوء ما تصور لنا هذه الشخصية الأخبار والروايات، فشعر المجنون يعبر عن رغباته الكامنة في اللاشعور وهو يعكس بجلاء صوراً صادقة من نفسه التي أرهقتها آلام الوجد ومرارة الحرمان، وكما يعكس الناحية النفسية فهو يمثل لنا ـ أي شعر المجنون ـ شخصية واضحة مستقلة يمكن لنا أن نميزها بسهولة ووضوح.

ومع ذلك كله فإننا نلتمس العذر لأستاذنا الدكتور طه حسين (رحمه الله) فيما ذهب إليه من شك وإن كنا لا نوافقه عليه، أما ذلك العذر فمرده إلى ذلك الخلط الواضح الذي يصادفه من تعقب أخبار هؤلاء الشعراء وأشعارهم.

فإننا نجد أحياناً أخباراً في قصة جميل/بثينة مرسومة في قصة مجنون ليلى، ونجد أبياتاً برمتها من شعر جميل بثينة مرسومة في قصيدة للمجنون أو لعروة بن حزام هكذا.

وهذه الظاهرة من غير شك تتطلب قدراً من الحذر والحيطة في النظر إلى هذه الأخبار والأشعار وإن كان هذا لا ينبغي أن يقودنا جملة إلى إنكارها أو الشك فيها.

وفي ضوء هذه المناقشة السابقة حول وجود مجنون ليلى يمكن أن نقول إننا بصدد شخصية حقيقية عاشت حياتها في عناء ومكابدة صادقة عميقة، وانفقت عمرها في شتات وغربة، تستعذب الآلام في سبيل عاطفة نقية سامية تتسامى عن مألوف العلاقات البشرية وتتميز عنها بالطهر والتحرر من أغلال الشهوة والتعفف عن كل ما مِنْ شأنه أن يزري بالقيم الرفيعة التي طبعت هذه العلاقة بطابع مثالي تتجلى فيه قدرة النفس البشرية على الفكاك من عبودية الجسد، والسمو بالعاطفة إلى مستوى لا يكون للقاء الجسد فيه مكان.

فلم أر مثلينا خليلي صبابة ... أشد على رغم الأعادي تصافيا
خليلان لا نرجو اللقاء ولا نرى ... خليلين إلا يرجوان تلاقيا
وأني لاستحييك أن تعرض المنى ... بوصلك أو أن تعرضي في المنى ليا

[بين يدي الديوان]

هذا الديوان الذي بين أيدينا ديوان في الغزل العذري، وهو ذلك الغزل النقي الطاهر الذي ينسب إلى قبيلة بني عذرة العربية، إحدى قبائل قضاعة التي كانت تنزل منطقة وادي القرى شمالي الحجاز، ذلك أن فتيانها تميزوا بذلك الشعر حتى أطلق عليه أو على شعرٍ عفيف يقتصر على شدة العواطف، لا تدنسه أي لذات حسية في وصف المحبوبة(١).

بعد ذلك انتشر ذلك الشعر ولم يقتصر على بني عذرة، بل امتد إلى قبائل نجد والحجاز؛ وخاصة بني عامر.

● ويُرْجع استاذنا الدكتور/شوقي ضيف انتشار الشعر العذري بين تلك القبائل البدوية إلى الآتي:

أ ـ الطبيعة البدوية الصافية التي جاء الاسلام فرفعها ولطفها ونقاها.

---

(١) يحلو لمؤرخي الأدب أن يقسموا الشعر في العصر الإسلامي إلى فترتين:

الأولى: صدر الإسلام: وتبدأ من ظهور الإسلام حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين.

الثانية: العصر الأموي: وتبدأ من قيام الدولة الأموية سنة ٤١ هـ. إلى نهاية هذه الدولة سنة ١٣٢ هـ.

والفترة الثانية هي التي ظهر فيها الغزل العذري وفي مقابله الغزل الحضري (وهو الغزل الصريح) وكان من أهم عوامل ازدهاره:

أ ـ حياة الترف والرخاء التي عاش فيها الشعراء.

ب ـ شيوع الغناء في عواصم البلاد العربية.

جـ ـ انصراف كثير من شعراء الحجاز عن المشاركة في السياسة منذ أن انتقلت عاصمة الخلافة إلى الشام مما حملهم على التفرغ لشعر الغزل والاهتمام به. ويمثل هذا النوع عمر بن أبي ربيعة.

أما الغزل العذري أو العفيف أو الغير مادي، فهو الذي يقوم على العاطفة الصادقة والبعد عن ذكر محاسن المرأة ومفاتنها وساعد على ازدهاره من وجهة نظرنا:

أ ـ الفراغ الذي كان يعيشه الشعراء في البادية.

ب ـ الغيرة على المرأة والمحافظة على التقاليد البدوية.

ويمثل هذا اللون (جميل بن معمر) و (عروة بن حزام) و (مجنون ليلى) وغيرهم من الذين ذكرناهم.

ب ـ بُعْد تلك القبائل العربية عن ترف المدن وتحللها ومجتمعاتها الماجنة اللاهية.

● ويبالغ استاذنا الدكتور/زكي مبارك فيلحق هذا الشعر بشعر التصوف ويحشر المجنون وأمثاله في زمرة المتصوفين!...

ومهما كان الأمر فقد ذاع وانتشر الشعر العذري وتناقلته الأفواه في أوائل عهد الدولة الأموية، فكان تنفيساً للمسلمين عن جو النزاعات السياسية والمؤامرات والدسائس، أو تكفيراً عن مجتمعات الشراب واللهو والمجون والشعراء الماجنين أمثال: عمر بن أبي ربيعة(٢) والأحوص(٣) وغيرهما... ومن أشهر شعراء الغزل العفيف:

- قيس بن ذريح ومعشوقته لبنى الخزاعية.
- جميل بن مَعْمَر، ومعشوقته بثينة(٤).
- راوية جميل كثيرٌ ومعشوقته عزة.
- عروة بن حزام وصاحبته عفراء.
- الصمَّة القشيري وابنة عمه ريًّا.

- عبد الرحمن الجشمي وهو من نساك مكة، وعشق سلامة حتى سماها الناس

(٢) عمر بن أبي ربيعة شاعر إسلامي اشتهر بالغزل الصريح، وهو من قبيلة مخزوم القرشية. ولد سنة ٢٣ هـ في العام الذي توفي فيه الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال الناس: (أي حق رفع، وأي باطل وضع) ونشأ في الحجاز مترفاً ميالاً إلى اللهو والغزل طيلة شبابه فلما تقدمت به السن انصرف عن ذلك وتوفي سنة ٩٣ هـ.

(٣) الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح. وعاصم بن ثابت من الأنصار.
ويقال ان عمر بن عبد العزيز نفاه من المدينة إلى قرية من قرى اليمن على ساحل البحر الأحمر لسلوكه الشائن.
راجع عنه: الأغاني (١٤/٤٧٠) و(٤/٢٢٨) و(٦/٥١) والمؤتلف والمختلف (٤٨)، والخزانة (١/٢٣١)، والسمط (٧٣)، وطبقات ابن سلام (٥٣٤)، والموشح (١٨٧)، وبروكلمان (١/١٩٦).

(٤) جميل بن معمر من قبيلة «عذرة» التي اشتهرت بالحب العفيف، وجميل شاعر إسلامي من شعراء الغزل أحب (بثينة) ابنة عمه وقد أقام على حبها حتى مات وجعل شعره كله وقفاً عليها، وكان يريد الزواج بها ولكن تقاليد القبيلة كانت تمنع زواج الشاعر من الفتاة التي يتغزل بها، فزوجها أهلها غيره ولكنه ظل متعلقاً بها يذكرها في شعره فشكوه إلى الوالي فهدده بإهدار دمه حتى ضاقت به الحياة فرحل إلى الشام ثم إلى مصر حيث توفي بها سنة ٨٢ هـ.

سلامة القس. وكذلك ظهر شعر لمعشوقات يتغزلن بمعشوقيهن أو يبكين فقدهن مثل ليلى الأخيلية وشعرها في توبة بن الحمير.

● إذن فشعر الغزل كان حقيقة واقعة لا جدال فيها، وكان أصحابه أشخاصاً حقيقيين لم ينسجهم خيال الرواة، ولكن الذي لا شك فيه أنه لفرط شعبية ذلك اللون من الشعر وكثرة تناول الألسن له نسج حوله ما ليس منه من روايات وعقد وصراعات مزعومة ونسب إلى شعرائِه ما لم يقولوه لحبك القصة.

بل يذهب بعض مؤرخي الأدب العربي والشعر إلى أن بعض شعراء ذلك اللون الشعري لم يوجدوا على الإطلاق فصاحب (الأغاني) أبو الفرج الأصفهاني ينسب إلى الأصمعي قوله:

«رجلان ما عُرِفا في الدنيا قط إلا بالاسم: مجنون بني عامر وابن القريّة».

وينسب إلى ابن الكلبي قوله:

«حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى ابنة عم له، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها، فوضع حديث المجنون، وقال الأشعار التي يرويها الناس له ونسبها إليه».

وللرد على هؤلاء أحيل القارىء المفضال إلى ما كتبناه آنفاً تحت عنوان (دفاعاً عن المجنون!!).

والآن هيا بنا ـ عزيزي القارىء ـ نلتقي مع أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) [٢/٤٦٧] ليعرفنا بالمجنون أو قيس بن معاذ، ويقال قيس بن الملوح، أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ويقال بل هو من بني عقيل بن كعب بن ربيعة.

ولقبه المجنون لذهاب عقله بشدة عشقه.

وكان الأصمعي يقول:

لم يكن مجنوناً، ولكن كان فيه لوثة كلوثة أبي حية. وهو من أشعر الناس، على أنهم قد نحلوه شعراً رقيقاً يشبه شعره، كقول **أبي صخر الهذلي**: -

أما والذي أبكى وأضحك والذي ... أمات وأحيا والذي أمره الأمر

● وكقول أبي بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة:

بينمـا نحن من بـلاكـث بـالقـا ع سِـراعـاً والعيسُ تهـوي هـويـا

ويواصل ابن قتيبة حديثه فيقول إن المجنون وليلى صاحبته كانا يرعيان البهم وهما صبيان، فعلقها علاقة الصبا ثم نشأ المجنون وكان يجلس معها ويتحدث في ناسٍ من قومه، وكان ظريفاً جميلاً، راوية للأشعار، حلو الحديث، فكانت تعرض عنه وتقبل على غيره بالحديث، حتى شق ذلك عليه، وعرفته منه، فأقبلت عليه.

ثم تمادى به الأمر، حتى ذهب عقله، وهام مع الوحش، فكان لا يلبس ثوباً إلا خرقه، ولا يعقل شيئاً إلا تذكر له ليلى، فإذا ذكرت ثاب وتحدث عنها لا يسقط حرفاً. فسعى عليهم نـوفل بن مسـاحق (تابعي، وكـان قاضيـاً على المدينـة، وتوفي أيـام عبد الملك بن مروان عام ٧٤ هـ وكان من أشراف قريش)، فنـزل مجمعاً من تلك المجامع، فرآه عرياناً يلعب بالتراب، فكساه ثوباً، فقال له قائل: وهل تدري من هذا أصلحك الله؟ قال لا. قال: هذا المجنون (قيس بن الملوح) ما يلبس الثياب ولا يريدها، فدعاه به فكلمه، فجعل يجيبه عن غير ما يكلمه، فقالوا له: إن أردت أن يكلمك كلاماً صحيحاً فاذكر له ليلى وسله عن حبه لها، ففعل، فأقبل عليه المجنون يحدثه بحديثها وينشده شعره فيها، فقال له نوفل: الحب صيرك إلى ما أرى؟ قال: نعم، وسينتهي بي ما إلى ذلك سبيل!!

قال: انطلق معي حتى أقدم بك عليها فأخطب لك وأرغب لك في المهر قال: أفتراك فاعلاً؟؟ قال: نعم، قال: انظر ما تقول! قال: على أن أفعل بك ذلك، فارتحل معه، ودعا له بثياب فلبسها المجنون، وراح معه كأصح أصحابه، يحدثه وينشده، فبلغ ذلك قومها فتلقوه بالسلاح وقالوا له: والله يا بن مساحق، لا يدخل المجنون منزلنا أبداً أو نموت!! وقد هدر السلطان دمه (الخليفة)، فأقبل بهم وأدبر، فأبوا، فلما رأى ذلك قال للمجنون: انصرف، قال المجنون: والله ما وفيت بالعهد، قال انصرافك أيسر (أو رجوعك أهون) علي من سفك الدماء فانصرف..

ثم يحدثنا ابن قتيبة بأمر ليلى وحبها المكتوم لقيس وسؤالها الدائم عنه كل من يمر بها وشعرها فيه.

ثم يذكر لنا ما أشار به الناس على والد المجنون بأن يخرج إلى مكة لعل الله يشفيه

ولكن ذلك العلاج لم يفلح . . . ولا يذكر ابن قتيبة خبر موت قيس بن الملوح أو مجنون ليلى العامرية، ولكنا نفارق قيساً يهيم في الفلوات عرياناً مهزولاً زائغ النظرات.

[راجع ابن قتيبة في الشعر والشعراء/جـ ٢ الصفحات من (٤٦٧) إلى (٤٧٧)].

أما المستشرق الكبير (كارل بروكلمان) فيقول في الفصل الثالث من الجزء الأول من تاريخ الأدب العربي: قيس بن الملوح مجنون بني عامر: قيل إنه توفي حوالي (٧٠ هـ) الموافق (٦٨٩م) [ص ١٩٤]. ثم يأتي في [ص ٢٠٠] من نفس الكتاب فيقول: إن اخبار قيس ليست إلا حلقة من القصص الغرامية التي نسجت على منوال قصة حب جميل وبثينة الحقيقية بينما قيس وليلى لم يكونا إلا من أبناء الخيال. !!!(٥)

ونهج طه حسين في كتابه (حديث الأربعاء) نهج المتشككين في حقيقة قيس بن الملوح، وتبعه كذلك كثير من (الطحاسنة) [أنصار طه حسين وتلاميذه] وكثير من مؤرخي الأدب في العصر الحديث ـ وقد قمنا بالرد على د. طه ومن والاه في هذا الاتجاه.

ونعود إلى بروكلمان الذي يزودنا بمصادر ديوان مجنون ليلى وهي:

- في كمبريدج البريطانية أول ٤٢٨.
- لا للي التركية ١٩٨٤.
- أيا صفويا التركية ٣٧٨٨ طبعتو ٢٤٦٩.
- فيض الله ١٦٠١ (برواية أبي بكر الوالبي).
- طبع ديوان المجنون في بولاق ١٢٨٥ هـ.
- طبع ديوان المجنون في القاهرة ١٢٩٤ هـ.
- ثم طبع في سنة ١٣٠٦ هـ.
- ثم طبع في سنة ١٣٤١ هـ.

* * *

(٥) يجدر بالذكر أن الأستاذ/عبد اللطيف علي أبو حليمة كتب مقدمة طيبة لديوان مجنون ليلى استفدنا منها استفادة كبيرة فجزاه الله خيراً على جهده.
ويجدر بالذكر أيضاً أن ديوان مجنون ليلى له طبعة أخرجتها مطبعة البابي حلبي (١٣٥٨هـ/١٩٣٩م)، وطبعة أخرى أخرجتها المطبعة الشرقية بدون تاريخ وقد استفدت منهما في إخراج هذا الديوان، وقارنتهما بما ورد من اشعار مجنون ليلى في الأغاني والخزانة والمؤتلف ومعجم الشعراء والسمط وفوات الوفيات والشعر والشعراء.

ويستطيع القارىء أن يحصل على المعلومات المتعلقة بمجنون ليلى من المصادر التالية : -

- الأغاني : ١/١٦١، ٢/٥ .
- خزانة الأدب للبغدادي ٢/١٦٩ .
- المؤتلف والمختلف للآمدي/١٨٨ .
- معجم الشعراء للمرزباني/٤٧٦ .
- السمط/٣٥٠ .
- فوات الوفيات رقم ٣٥٦ .
- النسخة التي نشرها الأستاذ المرحوم/عبد الستار فراج لديوان مجنون ليلى .
- بروكلمان/١٩٩ .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/٤٦٧ .

حكاية رجل اسمه «الوالبي»!!

في أوائل عام ١٩٨٧م أعاد الأخ الفاضل/أحمد علي حسن صاحب مكتبة الآداب بالقاهرة نشر طبعة قديمة لديوان مجنون الذي جمعه ورتبه الأديب العالم أبو بكر الوالبي ولم يضف الناشر أي جديد فقد اكتفى بالتحقيق المدرس التقليدي الذي قام به الأستاذ/عبد اللطيف علي أبو حليمة للديوان، وبالمقدمة التي كتبها لإحدى طبعات الديوان القديمة.

ولكن الجديد في طبعة الآداب القديمة أن الناشر كلف الصديق الدكتور/عبد الرحيم يوسف الجمل المدرس بكلية التربية/جامعة بورسعيد أن يكتب له تعريف «الوالبي» راوي ديوان المجنون وجامعه ومرتبه.

والصديق الدكتور/الجمل كثيراً ما نتحاور معه حول بعض القضايا الأدبية والفكرية وقد حدثني في موضوع عزمه على كتابة مقدمة لديوان المجنون يعرف فيها فقط بالوالبي والوالبي اسم في ذاكرتي كثيراً ما راودتني فكرة البحث عنه والتعريف به ولكن مشاغل الحياة حالت دون ذلك.

ومرت الأيام وصدرت طبعة الآداب لديوان المجنون وبها تعريف د. الجمل بالوالبي وقد قرأتها واستفدت منها في هذا التقديم.

لقد حفل تراثنا العربي الخالد بالعديد من الشخصيات التي بخلت علينا كتب التراجم بمعلومات عنهم ومن هؤلاء الوالبي.

ولا أكتم القارىء المفضال سراً إن قلت له إن التعرف على شخصية الوالبي أمر أرهقني وأعياني، كذلك البحث عن أي مؤلفات له. ولكن يمكنني القول وأنا سطمئن تماماً أن جمع وترتيب ديوان المجنون هو العمل الوحيد المتواجد له وفقاً للواقع، اللهم إلا إذا جاء باحث أكثر منا كفاءة واجتهاداً ومثابرة واكتشفت ترجمة شافية للوالبي أو مؤلفات أخرى له، هنا نشكره ونمتن له لأنه فتح طريقاً جديداً كان مقفلاً أمامنا.

في الفهرست لابن النديم (ص ٤٢٥) جملة من أسماء الكتب التي ألفها أصحابها

في سير العشاق من بينها كتاب (مجنون ليلى)، والمعروف أن ابن النديم انتهى من تـأليف الفهرست في حـوالي النصف الثاني من القـرن الـرابـع الهجـري، وأوافق الدكتور/الجمل في أن الكتاب الذي جمعه الوالبي هو المقصـود في فهرست ابن النديم.

لأننا لم نعرف كتاباً مستقلاً عن المجنون وليلاه غيره في فترة ما قبـل تأليف الفهرست.

واستاذنا المفضال (رحمه الله) عبد الستار أحمد فراج عندما جمع ديوان مجنون ليلى اعتمد على ما دونه أبو بكر الوالبي وهذا دليل على أهمية هذه الرواية إلى حد تسجيل الأشعار المشكوك في نسبتها إلى المجنون ولكنها وردت في ثنايا الكتاب.

● أما شيخنا الوالبي نفسه فقد اعتمد على روايـات كثيرة نقلهـا في كتابـه، وسنكتفي ببعضها والتي تعيننا في تحديد الفترة الزمنية التي عاشها الوالبي.

الرواية الأولى

«حدثنا أبو عمرو الشيباني قال: حدثنا نوفل بن مساحق» وأبو عمرو الشيباني كما نعلم لغوي كبير من نحاة الكوفة العراقية توفي سنة ٢١٠هـ - وفي رواية أخرى ٢٠٦ هـ.

وتدل الرواية المذكورة أن الوالبي سمع أبا عمرو ولقيه في نهاية القرن الثاني الهجري أو في أوائل القرن الثالث الهجري.

الرواية الثانية

نقلها الوالبي عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي المتوفى سنة ٢٢٥ هـ بقوله:

«حدثنا رجل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال. . . .».

ونرجح أن هذه الرواية كانت في بداية القرن الثالث الهجري.

الرواية الثالثة

عن الحسن بن سهل المتوفى سنة ٢٣٦ هـ ذكر الوالبي:

قال الحسن بن سهل: أنشدني أحمد بن إسماعيل الكاتب لليلى العامرية».

وهذه الرواية سمعها الوالبي قبل أن يصاب الحسن بن سهل بمرض نفسي في عام ٢٠٣ هـ وتوفي على إثره.

* * *

والمراجع للكتاب الذي بين أيدينا (ديوان مجنون ليلى برواية الوالبي) يلاحظ أنه يخلو من ترتيب قوافيه. ومعنى ذلك أن رواياته التي جمعها الوالبي جمعها من خلال ما توافر لديه من معلومات وروايات فجاءت الروايات السابقة متأخرة عن الروايات الأخرى، وهذه دلالة على وصولها إليه متأخرة فأوردها في كتابه حسب وصولها إليه في نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الهجري.

ولهذا نوافق الدكتور/الجمل في خلافه مع ما ذكره الاستاذ/عبد الستار أحمد فراج من أن الوالبي كان من رجال أواخر القرن الثاني الهجري.

فبناءً على الروايات السابقة يحق لنا أن نتوسع قليلاً ونرجح أن الوالبي كان حياً في أوائل القرن الثالث الهجري، ذلك القرن الذي كان يزخر بالعديد من الشخصيات الأدبية، وقد ضاع ذكر بعضهم ومن بينهم الوالبي نفسه.

ولكن بالبحث والتقصي وجدت الوالبي مذكوراً في كتابين.

الكتاب الأول:

كتاب الأمالي لأبي علي القالي (الجزء الثاني/ص ١٤٢)، «قال وأخبرني عبد الله بن خلف، قال أخبرني أحمد بن زهير، قال أخبرني مصعب بن عبد الله الزبيري، عن بعض أهلِهِ، عن أبي بكر الوالبي».

الكتاب الثاني:

كتاب (بسط المسامر في أخبار مجنون بني عامر/لمحمد بن طولون الدمشقي المتوفى (٩٥٣ هـ). [ص ٣٩].

«حدثنا التنوخي، حدثنا ابن حيويه، حدثنا ابن المرزبان، حدثنا محمد بن خلف، أخبرني أبو بكر العامري عن عبد الله بن أبي كريم عن أبي عمرو الشيباني عن أبي بكر الوالبي».

● وهاتان الروايتان تدلان على معرفة رجال السند بالوالبي الأديب العالم أو الكاتب الراوية، وكان من الممكن جداً أن نجد المزيد من هذه المعلومات لولا ضياع

وفقد، الآلاف من المخطوطات العربية والإسلامية إبان الغزو المغولي للبلاد العربية والغزو الاستعماري للبلاد الإسلامية بعد ذلك.

أضف إلى ذلك ما تعرضت له وتتعرض مخطوطاتنا من نهب وسرقة وتهريب في وضح النهار وفي غيبة من رقابة أولي الأمر، والنشاط المكثف لمافيا التراث الذي لا يهدأ ونحن في غفلة لا نعرف مداها[1].

وقد تمدنا المخطوطات المحفوظة في دهاليز ومخازن المكتبات ونحن نجهلها - فالمعرفة الشخصية لها حدود وليس من المعقول أن يعرف الإنسان كل شيء - بالمعلومات عن شخصيات أدبية ما زالت مجهولة علينا ومن بينهم الوالبي نفسه الذي نرجح أن وفاته كانت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري - والله أعلم ورسوله.

---

(١) راجع التعريف بالوالبي الذي كتبه الأخ الصديق الدكتور/ عبد الرحيم يوسف الجمل بطبعة الآداب المصرية لديوان مجنون ليلى للوالبي (الصفحات من ج إلى و).

ديوان مجنون
لـيـلـى
برواية الوالبي

[نص الديوان]

بسم الله الرحمن الرحيم
[المقدمة]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين أجمعين.

[الاختلاف في اسم المجنون]

قال أبو بكر الوالبي: اختلف في اسم مجنون بني عامر[١]: هل هو عامر[٢] أو مهدي أو الأقرع أو معاذ أو قيس ابنه أو ابن الملوَّح أو البحتري بن الجعد؟ والصحيح الأول. وفي نسبه: هل هو عامري أو كلابي أو جعدي أو قشيري، أو المجانين متعددة، أو هما اثنان في بني عامر؟ والصحيح الأول[٣].

---

(١) في نسخة (اختلف في اسم المجنون).

(٢) في نسخة (هل هو قيس) بدلاً من (هل هو عامر).

(٣) والصحيح في رأينا أنه قيس بن معاذ، أو قيس بن الملوح أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة، ويقال بل هو من بني عقيل بن كعب بن ربيعة. وفي رأينا أيضاً أن المجنون شخصية واحدة.

[بداية الحب]

وكان من حديثه: أنه كان صغيراً، وليلى[٤] وهي ابنة عمه كانت صغيرة أيضاً، فكانا يجتمعان في بَهم (أي أغنام لهما)[٥] يتحدثان وهما صغيران، فلما شبا وكبرا جعل حبهما يزيد وينمو كل يوم وساعة.

● قال: وكانت ليلى بصيرة بالشعر والأدب ووقائع العرب في الجاهلية والإسلام، وكان فتيان بني عامر يجلسون إلى ليلى ويتناشدون عندها الأشعار، وكان قيس فيمن يجلسون إليها، فلم يكن في بني عامر فتى أحبّ إليها ولا أكرم عليها منه، حتى إذا بدت حاجة لفتى في بني عامر إلى ليلى توسل بالمجنون إليها، فلم يزالا كذلك برهة من الدهر حتى فشا أمرهما وارتاب بهما قومهما، فلما كان ذات يوم سألها قيس حاجة لنفسه، لينظر هل له في قلبها مثل الذي في قلبه لها، فمنعته حاجته، فاغرورقت عيناه لمنعها إياه حاجته فأنشأ يقول[٦]:

---

(٤) ليلى العامرية اسمها ليلى بنت سعد بن مهدي بن ربيعة بن الجريسن بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وكنيتها أم مالك كما جاء في شعر المجنون نفسه (راجع الأغاني ٢/٥).

(٥) الصحيح أن البهم جمع بهمة وهي الصغير من أولاد الضأن والمعز.

(٦) يقال إن ليلى وقيس تعارفا وهما صبيان حينما كانا يذهبان لرعي البهم والماشية عند جبل يقال له (جبل الثوبان) ثم ظلا كذلك حتى نمت عواطفهما الطاهرة البريئة وترعرعت. وهناك رأي آخر يقول: إن قيساً مرَّ يوماً بفتيات فسلم عليهن فبادلنه السلام ودعونه للحديث فنزل عن مطيته وتحدث إليهن وعقر لهن ناقته.

وفي المساء أقبل فتى آخر فشغلن به عن قيس فاغضبه ذلك وقال شعراً.

فلما أصبح تعرض لهن فلم يجدهن ولكن وجد ليلى فدعته إلى الحديث فاستجاب وصنع لها مثل ما صنع مع صويحباتها بالأمس، فأظهرت ليلى إعراضها عنه فأصابه لذلك هم شديد، فما كان من ليلى إلا أن رفقت به وأعلنت له حبها في شعر لم يكد يسمعه حتى خرَّ مغشياً عليه.

واعتقد إن هذه الرواية متأثرة إلى حد كبير وبالذات في موضوع عقر الناقتين بما روي عن امرىء القيس الشاعر الجاهلي وقصته مع ابنة عمه (عنيزة) في يوم دارة جلجل وعقره للعذارى مطيته وإذا ذبح امرؤ القيس مطية أو أكثر فالأمر بالنسبة له سهل ميسور لأنه ابن ملك وعلى قدر كبير من الغنى ولكن شاعرنا

مضى زمن والناس يستشفعون بي — فهل لي إلى ليلى الغداة شفيعُ
يُضَعِّفني حبِّيكِ[٧] حتى كأنني — من الأهل والمال التليد نَزيعُ
إذا ما لحاني العاذلاتُ بحبها — أبتْ كبدي مما أُجِنُّ صَديع[٨]
مدى الدهرِ أو ينْدَى الصفا مِن متونه — ويُشعَب من كسر الزجاج صُدوع[٩]
وحتى دعاني الناسُ أحمقَ مائقاً[١٠] — وقالوا تَبوعٌ للضلال مطيعُ
وكيف أطيع العاذلات وحبها — يؤرقني والعاذلات هُجوع

وقال أيضاً:

تَعلقتُ ليلى وهي غِرٌّ صغيرة — ولم يبد للأتراب[١١] من ثديها حجمُ
صغيرين نرعَى البَهمَ يا ليت أننا — إلى اليوم لم نكبرْ[١٢] ولم تكبرِ البهمُ

المجنون رجل فقير محدود الإمكانات فمن أين له بالناقتين كي يذبحهما؟!

وليس من المعقول أن يحب ليلى من أول نظرة، فتظهر له إعراضها فيصاب بهم شديد، فتقول له شعراً فيخر مغشياً عليه!!!

الرواية الثالثة أو الرأي الثالث يحاول أن يصور قيس بن الملوح بصورة حيوانية حيث تذكر أنه كان شديد الولع بالنساء، وإن ليلى العامرية كانت أجمل وأملح النساء في حيها وإن رفيقاتها كن يقصدنها ويجلسن إليها ويسمرن معها فترامى خبر ذلك إلى قيس فسعى بها وضم نفسه إلى مجلسها فكان من أمره معها ما كان.

ونحن لا نمانع أن تكون ليلى جميلة، وأن تكون بصيرة بالأدب والشعر ووقائع العرب في الجاهلية والإسلام، وكان فتيان بني عامر يجلسون إلى ليلى ويتناشدون عندها الأشعار، وكان قيس فيمن يجلسون إليها، ولم يكن في بني عامر فتى أحب إليها ولا أكرم عليها منه.

نحن لا نمانع في كل ذلك ولكن أن يصور قيس بأنه زير نساء ولوع بالمرأة فالغزارة الأولى لأشعاره تجعلنا نعرف أن الرجل يعرف الحب الصادق والعاطفة الجياشة النبيلة، يعشق ليلى عشقاً فيه السمو والنقاء، يجعلنا ذلك نؤكد أن الرجل لم يكن حيواناً أو شهوانياً بأي حالٍ من الأحوال.

(٧) حبيك: أي حبي لك، التليد: الموروث، نزيع: خالٍ.

(٨) لحاني: لامني العاذلات بحب ليلى، أُجِنُّ (بضم الهمزة، وكسر الجيم، وضم النون وتشديدها) أخفي، وصديع: على وزن فعيل، من صدع بالحق إذا تكلم به.

(٩) الدهر هو الزمن، والصفا: جمع صفاة وهي الصخر أو موضع في مكة المكرمة، ويندى: يجود أو يسخو، ويشعب: يتفرق.

(١٠) مائقاً: اسم فاعل من مَأَق وهو الفُواق وسط شدة النشيج.

(١١) الأتراب: الأصدقاء والأصحاب والمعنى: تعلقتها وهي ما تزال صغيرة.

(١٢) في نسخة (إليّ اليوم تكبر ولم تكبر البهمُ) والصواب المقبول (لم تكبر ولم تكبر البهمُ) وهو ما أثبتناه في الأبيات.

فأجابته ليلى وهي باكية لما سمعت شعره:

وكلٌّ مظهرٌ للناس بُغضاً وكلٌّ عند صاحبه مَكينُ
تَخبِّرُنا العيونُ بما أردنا وفي القلبين ثَمَّ هوىً دفين[١٣]

(١٣) أورد الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني قصة هذين البيتين وخلاصتها أن ليلى أرادت أن تختبر حب قيس لها فأظهرت اهتمامها آخر، فامتقع لون قيس واغشي عليه فعرفت بحبه المكتوم، وقالت البيتين تؤكد له حبها أيضاً. ومعنى ذلك أنَّ الحبَّ لم يكنْ من طرفٍ واحد كما يزعم بعض الباحثين.

[الإغماءُ حباً]

فلما سمع مقالتها[١٤] خر مغشياً عليه[١٥]، فلما أفاق[١٦] قال:

صـريعٌ من الحب المبـرِّحِ والهوَى وأيُّ فـتىً مِـن عِلَّةِ الـحب يـسلمُ[١٧]

ففطن جلساؤه عند ذلك فأخبروا أباها، فحجبوها عنه وعن سائر الناس، وقدموه إلى السلطان فأهدر السلطان دمه إن هو زارها.

فلما حجبت[١٨] عنه أنشأ يقول:

ألا حُجبتْ ليلى وآلىَ أميـرهـا عليَّ يميناً جاهـلاً لا أزورهـا
وأوعـدَني فيهـا رجـالٌ أبـوهُمُ أبي وأبوها خُشنت لي صدورُهـا
على غيـر شيءٍ غيرَ أني أحبهـا وأن فؤادي عنـد ليلى أسيـرهـا
وإني إذا حَنَّتْ إلى الإلف إلفُهـا هفا بفؤادي حيث حنَّتْ سَحورها

---

(١٤) سمع البيتين السابقين.
(١٥) سقط في حالة إغماء شديدة.
(١٦) فلما انتبه وأفاق من الإغماء.
(١٧) قتيل بسبب الحب الشديد الذي يملك أقطار نفسه، ويسأل قيس، وأي فتى من الفتيان خالٍ من علة الحب، سالم منه.
(١٨) التقاليد العربية ترفض بشدة أن يأتي شاعر أو محب بسيرة محبوبته قبل أن يتزوج بها.
وعلم جلساء ليلى وقيس ما بينهما من حب نقي طاهر، فأخبروا أهلها فمنعوها الخروج عنه وعن سائر الناس، وقدموا أمره إلى السلطان الذي أهدر دمه إن هو زارها. أو اقترب من حبها.

[المهدي يرفض]

ثم إنه لما اشتهر بحبها وابتلي، قام أبوه وإخوته وبنو عمه وأهل بيته فأتوا أبا ليلى وسألوه بالرَحم والقرابة والحق العظيم أن يزوجها منه، وأخبروه أنه ابتلي بها. فأبى أبو ليلى ولج وحلف وقال: والله لا حدّثتْ العربُ أني زوجت عاشقاً مجنوناً. فأقبل الناس إلى أبي المجنون وقالوا له: لو أخرجته إلى مكة فعوذته بيت الله الحرام لعل الله يعافيه مما ابتلي! . فأخرجه أبوه إلى مكة وهما راكبان جملاً في محمل، فلما قدما مكة قال له أبوه: «يا قيس! تعلق بأستار الكعبة» ففعل، فقال: قل اللهم أرحني من ليلى وحبها، فقال: «اللهم منّ عليّ بليلى وقربها» فضربه أبوه(١٩)، فأنشأ يقول:

يـا رب إنـك ذو مَنٍّ ومغفـرة ... بَيِّتْ بعـافيـةٍ ليـلَ المحبينـا
الذاكرين الهوىَ مِن بعدما رقدوا ... الساقطين على الأيـدي المُكِبينا
يا رب لا تسلُبَنّي(٢٠) حبها أبداً ... ويـرحم الله عبداً قـال آمينـا

وقال أيضاً:

دعـا المحـرِمـون الله يستغفـرونـه ... بمكةَ شعثاً كي تُمَحّى ذنـوبهـا(٢١)
ونـاديتُ يـا رحمـنُ! أوّلُ سؤلتي ... لنفسيَ ليلى ثـم أنت حسيبهـا
وإن أُعطَ ليلى في حيـاتيَ لم يَتبْ ... إلى الله عبـدٌ تـوبـةً لا أتـوبهـا
يَقـرُّ لعيني قـربُـهـا ويَـزيـدني ... بهـا عجبـاً مَن كـان عنـدي يعيبهـا

---

(١٩) شاع أمر قصة الحب بين ليلى وقيس، فقام أهل قيس بزيارة المهدي والد ليلى وسألوه بصلة الرحم والقرابة أن يزوج قيس من ليلى، ولكن والد ليلى أصرَّ على موقفه.
واقترح الناس على والد المجنون أن يصحبه إلى زيارة بيت الله الحرام لعل المولى سبحانه يعافيه، وتعلق قيس بأستار الكعبة طالباً من الله أن يمن عليه بليلى ويقربها له، ولكن الأب ضربه على صدره قائلاً له: قل اللهم ارحني من ليلى وحبها.

(٢٠) في نسخة «لا تُسْلني» وهنا كسر في الوزن.

(٢١) في نسخة «كي تمحا عنها ذنوبها» وهنا كسر في الوزن.

وكم قـائـلٍ قـد قـال تبْ فعصَيتـه ... وتلك لعـمـري خَلةٌ لا أصيبـهـا
ومـا هجَرتْـكِ النفسُ يـا ليـلُ أنهـا ... قَلتْـكِ ولكن قـلَّ منـكِ نصيبهـا
فيا نفسُ صبراً لستِ واللهِ فـاعلمي ... بـأول نفسٍ غـاب عنهـا حبيبهـا

[باسم ليلى]

فلما سمع أبوه هذه الأبيات رق له، فأخذه بيده نحو مِنىً يريد رمي الجمار، فبينما هو بمنى إذ سمع منادياً ينادي من بعض تلك الخيام «يا ليلى»، فخر مغشياً عليه، واجتمع عليه قومه، وأبوه باك حزين، فأفاق وهو مصفر اللون وأنشأ يقول:

وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيفِ مِن مِنىً ... فهيَّج أحزانَ الفؤادِ وما يدري
دعا باسم ليلى غيرَها فكأنما ... أطار بِلبي طائراً كان في صدري
دعا باسم ليلى أسخنَ اللهُ عينَه ... وليلى بأرض الشام في بلد قفر
عرضتُ على قلبي العزاءَ فقال لي ... مِنَ الآنَ فاجزع لا تَمَلَّ من الصبر
إذا بان مَن تهوى وشطَّ به النوى ... ففرقة مَن تهوى أحرّ من الجمر

[نار الأسى]

وقال:

أيا ليلَ زَند البين يقدَح في صدري[٢٢] ونـار الأسَى ترمي فؤادِيَ بالجمر
أبَى حَدَثان الدهر إلا تشتتاً وأيُّ هَوًى يَبقَى على حدَث الدهر
تَعَزَّ فإن الدهر يجرح في الصفا ويقدَح بالعصرَين في الجبل الوعر
وإني إذا ما أعوَزَ الدمعُ أهله فزعتُ إلى دلحاءَ دائمة القطر[٢٣]
فوالله ما أنساكِ ما هبَّت الصبا وما ناحت الأطيار في وضح الفجر[٢٤]
وما نطقتْ بالليل سارية القطا وما صدحتْ في الصبح غادية الكُدْر[٢٥]
وما لاح نجمٌ في السماء وما بكت مطوّقةٌ شجواً على فَنن السِّدر[٢٦]
وما طلعت شمسٌ لدى كل شارقٍ وما هطلت عينٌ على واضح النحر
وما اغطوطش الغِربيب واسوَدّ لونه وما مرَّ طولَ الدهر ذكرُك في صدري[٢٧]
وما حملتْ أنثى وما خبَّ ذعلبٌ وما طفح الآذِيُّ في لُجَج البحر[٢٨]
وما زحفتْ تحت الرحال بركبها قِلاص تَؤمُّ البيتَ في البلد القفر[٢٩]
فلا تحسبي يا ليل أني نسيتكم وأنْ لستِ مِني حيث كنتِ على ذكر
أيبكي الحمامُ الوُرق مِن فقد إلفه وتسلو وما لِيَ عن أليفي من صبر
فأقسمُ لا أنساكِ ما ذرَّ شارق وما خبَّ آلٌ في مُعلَّمةٍ قفر[٣٠]

---

(٢٢) شبه قيس الفراق بحجرٍ يقدح بآلة فيتطاير الشرر منه.
(٢٣) الدلحاء هي السحابة دائمة القطر، دائمة المطر، وهي كناية عن عينه الدامعة دائماً.
(٢٤) الصبا: هي ريح تهب من جهة الشمال، وضح: ضوء.
(٢٥) سارية القطا: الطير المسافر بالليل، غادية الكدر: الطيور الملونة الآتية في الصباح الباكر.
(٢٦) المطوقة: الحمامة، فنن: الغصن، السِّدر: شجر النبق.
(٢٧) اغطوطش: اشتد سواده، الغربيب: هو الغراب الشديد السواد.
(٢٨) خب: سار سيراً، ذعلب: الناقة، الأذى: موج البحر.
(٢٩) قلاص: جمع قلوص وهي الناقة، تؤم: تقصد، البيت يعني بيت الله الحرام، البلد القفر: مكة المكرمة.
(٣٠) ذرَّ: تفرق وانتشر، شارق: أي الشمس، خب: سار، آل: سراب، معلمة قفرٍ: صحراء قاحلة جرداء.

ألا لـيت شـعــري هــل أبيـتنَّ لـيـلةً	أنــاجيكــمُ حتـى أرى غُــرَّةَ الفـجــر
لقــد حملتْ أيـدي الـزمـانِ مــطيتي	على مركبٍ مستعطِل الناب والظفر[٣١]

فلما سمع أبوه هذه الأبيات أخذ بيده إلى محفل من الناس.

(٣١) كأنما الزمان يسوق مجنون ليلى، وكأنه ناقة تساق، مستعطل الناب والظفر: ليس له ناب ولا ظفر.

[هوى ليلى]

● **فسألهم** أن يدعوا الله تعالى له بالفرج، فلما أخذ الناس في الدعاء **أنشأ يقول**:

ذكـرتـكِ والحجيـج لهم ضجيجٌ ... بـمكـة والـقـلوبُ لـهـا وَجيـبُ
فـقلتُ ونـحـن فـي بلدٍ حـرام ... بـه للهِ أخـلـصـت الـقـلوب
أتـوب إلـيـكَ يـا رحمـنُ ممـا ... عملتُ فقد تـظاهـرتِ الـذنـوب
فـأمّـا مِـن هـوى ليلى وتـركي ... زيـارتَـهـا فـإنـي لا أتـوب
وكـيف وعـنـدَها قـلبي رهيـنٌ ... أتـوب إلـيـكَ منـهـا أو أنيـب

[الحب قاتل]

وعن أبي مسكين قال: خرج رجل منا حتى إذا كان بموضع يقال له بئر ميمون، إذ هو بجماعة في ذرى جبل، وإذا فتى قد تعلقوا به كأحسن ما يكون من الرجال وأجملهم يريد أن يرمي بنفسه من أعلى الجبل غير أنه مصفر اللون ناحل البدن وهو يقول:

لقـد هَمَّ قـيس أن يـزُجَّ بنـفسـه ... ويرمي بها من ذِروة الجبـل الصعب
فـلا غَـرو أنَّ الحبَّ للمـرء قـاتـلٌ ... يُقلبـه مـا شـاء جَنبـاً إلى جنب
أنـاخ هـوى ليلى بـه فـأذابـه(٣٢) ... وَمن ذا يطيق الصبرَ عن مَحمل الحب
فيسقيـه كـأسَ المـوت قبـل أوانـه ... ويُـورده قبـل الممـات إلى التـربِ

---

(٣٢) أناخ هوى ليلى: شبه المجنون هوى ليلى العامرية بناقة جثمت على صدره.
وفي نسخة «فإذا به» والصواب ما أثبتناه.

[أرض نجد]

● قال: فسألت عنه فقيل هذا مجنون بني عامر أخرجه أبوه إلى هذا الجبل يستقبل الريح التي تهب من ناحية نجد، ويكره أن يخليه فيرمى بنفسه من الجبل، فلو شئت دنوتَ منه فأخبرتَه أنك قدمتَ من ناحية نجد، فتقدَّمْ إليه فلعله ينزل من الجبل، قلت نعم، فدنوت منه، فقالوا يا أبا المهدي هذا رجل قدم من ناحية نجد، قال فتنفس الصعداء حتى ظننت أن كبده تصدعت، ثم جلس يسألني عنها وعن بلاد نجد، فأقبلت أحَدِّثه وأصف له، وهو يبكي أشد بكاء وأوجعه للقلب، ويقول:

ألا حبــذا نجــدُ وطيـبُ ترابـهـا ... وأرواحهـا إنْ كـان نجـد على العهـد
ألا ليت شِعري عن عويـرِضَتيْ قُبـا ... لِطولِ التنائي هـل تَغيَّرتـا بَعـدي[٣٣]
وعن أقحوان الرمـل مـا هـو فـاعـلٌ ... إذا هــو أمسى ليلةً بثـرًى جَعْـد[٣٤]
وعن جـارتَينا بـالبتيـل إلى الحمى ... على عهدنا أم لمْ تدوما على عهد[٣٥]
وعـن عُلوِيَّـات الـريـاح إذا جـرت ... بريح الخزامى[٣٦] هل تَهبُّ إلى نجد
وهـل تُنفضَنَّ الـريـحُ أفنـان لِمَّـتي ... على لاحقِ الإطلين منذلقِ الوَخـد[٣٧]
وهـل أسمعنَّ الدهـرَ أصـوات هجمـةٍ ... تُطالع مِن وهـدٍ خصيب إلى وهد[٣٨]

---

(٣٣) (عويرضتي): عوارضة وقبا اسمان لجبلين لبني فزارة (راجع الأغاني).
(٣٤) الأقحوان: البابونج وهو نبت طيب الرائحة، ورقه أبيض ووسطه أصفر، ثرى جعد: تراب ندٍ.
(٣٥) البتيل: اسم جبل في نجد، وتدوما: في نسخة «يدوما».
(٣٦) علويات الرياح: الرياح التي تهب من العالية وهو اسم لموضع بين نجد وتهامة.
(٣٧) اللمة بالكسر: الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن، لاحق الإطلين: ضامر، المتنان: جنبا الظهر، وهي كناية عن الخيل العربي الأصيل، منذلق الوخد: أي سريع واسع الخطى يقال جمل وآخذ أي وسع الخطا.
(٣٨) في نسخة «هجعة»، والهجعة: العدد الكبير من الإبل يسير معاً، وهدٍ: الأرض السهلة.

[بعد النساء]

● **قال**: فأقبل أبوه بعد أن قضى نسكه يريد أهله، فلما قدم جمع أعمامه وأخواله فلاموه وعذلوه وقالوا «لا خير لك في ليلى ولا لها فيك، وقد رُددنا عنها، ولك في بنات عمك من خير لك منها، فلو تزوجتَ واحدة منهن نرجو أن يزول عنك بعض ما يقلبك من حبها، **فأنشأ يقول**:

لقد لامني في حب ليلى أقاربٌ ... أبي وابن عمي وابن خالي وخاليا[39]
يقولون ليلى أهلُ بيت عداوة ... بنفسيَ ليلى مِن عدوٍّ وماليا
أرى أهلَ ليلى لا يريدون بيعها ... بشيءٍ ولا أهلي يريدونها لِيا
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا ... وبالشوقِ والإبعادِ منها قضى ليا
قسمتُ الهوى نصفين بيني وبينها ... فنصفٌ لها هذا لهذا وذا ليا
ألا يا حماماتِ العراق أعِنَّني ... على شجني وابكين مِثلَ بكائيا
يقولون ليلى بالعراق مريضةٌ ... فيا ليتني كنتُ الطبيبَ المداويا
فشاب بنو ليلى وشاب ابن بنتها ... وحُرقة ليلى في الفؤاد كما هيا
عليّ لئن لاقيتُ ليلى بِخلوةٍ ... زيارةُ بيتِ الله رِجلاي حافياً[40]
فيا رَبِّ قد صيَّرتَ ليلى هي المنا ... فزِنّي بعينيها كما زنتها ليا
وإلا فبَغِّضْها إليَّ وأهلَها ... فإن بليلى قد لقيتُ الدواهيا
يلومون قيساً بعدما شَفَّهُ الهوى ... وبات يراعي النجمَ حيرانَ باكياً
فيا عجباً ممن يلوم على الهوى ... فتىً دنفاً أمسى من الصبر عارياً[41]
ينادي الذي فوق السموات عرشُه ... ليكشفَ وَجداً بين جنبيه ثاويا
بساحرة العينين كالشمس وجهها ... يُضيء سناها في الدُّجى متساميا

---

(٣٩) في نسخة «أقاربي».
(٤٠) في نسخة «رَجْلانَ» بفتح الراء، وتسكين الجيم، وفتح النون ـ أي سائراً على الأقدام.
(٤١) دنفاً: مريضاً مرضاً ملازماً والفتى هو قيس الذي أمسى من الصبر عارياً أي نفد صبره.

[سلام على ليلى]

قال: فلما سمعوا مقالته أسمعوه ما يكره فمر على وجهه آسياً مهموماً حزيناً متفكراً في أمرها حتى منعه ذلك من الطعام والشراب، وترك محادثة الناس وصار في حدٍ يرحمه من رآه من عدو وصديق، **فقال**:

مـا بالُ قلبـكَ يا مجنـونُ قد هلعـا ... مِن حب مَن لا ترى في وصلها طمعا
الحب والعشق سِيطَا مِن دَمي لهما ... فـأصبحا في فؤادي نـابتَين معا[٤٢]
طـوبَى لمن أنتِ في الدنيـا قرينته ... لقـد نَفَى الله عنـه الهمَّ والجـزَعـا
بـلْ مـا قـرأتُ كتـابـاً منـكِ يَبلغني ... إلا تـرقـرق مـاءُ العين أو دَمعـا
أدعــو إلى هجـرهـا قلبي فيتبعني ... حتى إذا قلتُ هـذا صـادقٌ نـزَعـا
لا أستـطيـع نـزوعـاً عن مـودتهـا ... ويصنع الحب بي فوق الذي صَنعا
كم مِن دنيءٍ لهـا قـد كنت أتبعـه ... ولو صحا[٤٣] القلب عنها كان لي تبعا
وزادني كلفــاً في الحب أن مُنعتْ ... أَحَبُّ شيء إلى الإنسـان مـا مُنعـا
اقـر السـلامَ على ليلى وحقَّ لهـا ... مني التحيةُ إن الموتَ قد نزعـا[٤٤]
أمـاتَ أم هـو حيٌّ في البـلاد فقـد ... قَـلَّ العزاءُ وأبـدى القلبُ ما جـزعا

(٤٢) سيطا: أي تكونا بامتزاجهما واختلاطهما.

(٤٣) في نسخة «لوصحّ القلب» والصواب ما أثبتناه.

(٤٤) في نسخة «اقرأ» بالألف والصواب «اقر السلام على ليلى».

[إلى الواديين]

وقيل: كان المجنون بموضع يسمى الواديين وكان يجلس بينهما ويخلو في بيته. فخرج يوماً يريدهما، فلما صار قريباً من الواديين انشأ يقول:

ألا لا أرى وادِي الـمـيـاه يُـثـيـب ... ولا النفسَ عن وادي المياه تطيبٌ
أحـب هبـوطَ الـواديـيـن وإنـنـي ... لـمشـتـهـرٌ بـالـواديـين غـريـب
أحـقّـاً عبـادَ الله أنْ لسـتُ وارداً ... ولا صـادراً إلا عـلـيَّ رقـيـب
ولا زائـراً فـرداً ولا في جمـاعـة ... من النـاس إلا قيـل أنت مُـريب
وهـل ريبـةٌ في أن تَحنَّ نجيبـةٌ ... إلى إلفهـا أو أن يحن نجيب(٤٥)
وإن الكثيبَ الفرد مِن جانب الحِمى ... إلـيّ وإن لـم آتـه لـحبـيـب(٤٦)
ولا خير في الدنيـا إذا أنت لم تزر ... حبيبـاً ولم يـطرب إليـك حبيب

---

(٤٥) نجيبة: ناقة، والنجيب والنجيبة كناية واضحة عن قيس ومحبوبته ليلى العامرية.

(٤٦) الكثيب على وزن فعيل وهو مجتمع الرمل، الحمى بكسر الحاء هو الجار أو كل ما يجب حمايته.

[إلى بابل]

وذُكِرَ أن أباه الملوح أتاه وحمله إلى بابل ليعالجه وذلك قبل نزول ما نزل به من الحب الشديد وسورة العشق، فحمله على ناقته، فلما أمعنا في السير ذكر المجنون ليلى، فلم يتمالك أن قال:

تمتَّع مِن ذُرَى هضباتِ نجدٍ ... فإنك موشكٌ أن لا تراها
أوَدِّعها الغداةَ فكلُّ نفسٍ ... مفارقةٌ إذا بلغت مداها

قال: فبكى أبوه رحمة له وقال: يا بني هل لك أن تسلو بغيرها؟ فقال: والله ما أجد إلى السلو سبيلاً وإني لفي أعظم الكرب والبلاء، وأنشأ يقول:

وكم قائلٍ لي أسلو[47] عنها بغيرها ... وذلك من قول الوشاة عجيب
فقلت وعيني تستهل دموعُها ... وقلبي بأكناف الحبيب يذوب
لئن كان لي قلبٌ يذوب بذكرها ... وقلبٌ بأخرى، إنها لقلوب
فيا ليلى جُودي بالوصال فإنني ... بحبِّيك رهنٌ والفؤاد كئيب
لعلكِ أن تُروَيْ بُشربٍ على القذى ... وترضي بأخلاق لهن خُطوب[48]
وتبلي وصالَ الواصلين فتعلمي ... خلائقَ مَن يُصفِي الهوى وَيشوب
لقد شفَّ هذا القلبَ أن ليس بارحاً ... له شجنٌ ما يُستطاع قريب
فلا النفسُ تخليها الأعادي فتشتفي ... ولا النفسُ عما لا تنال تطيب
لكِ الله إني واصلٌ ما وصلتِني ... ومُثنٍ بما أوليتِني ومُثيب
وآخذُ ما أعطيتِ صفواً وإنني ... لأزْوَرُ عما تكرهين هَيوب[49]
فلا تتركي نفسي شعاعاً فإنها ... مِن الوجد قد كادت عليك تذوب
وألقى من الحب المبرِّح سَورةً ... لها بين جلدي والعظام دبيب
وإني لأستحييكِ حتى كأنما ... عليّ بظهر الغيب منكِ رقيب

(٤٧) في نسخة وجدتها «اسلُ» فعل أمر وهو الأصح وقد تركنا «اسلو» لأنها رواية الوالبي.
(٤٨) شرب على القذى: أي شرب مرغماً.
(٤٩) أزْوَرُ: منحرف مبتعد، هيوب على وزن فعول وهي صيغة مبالغة من الفعل (هاب).

[دعوني]

قال الوالبي: بلغني أنه دخل بابل واجتمع إليه المطببون وأقبلوا يسقونه شربة بعد شربة ويكوونه، فلما أكثروا عليه أنشأ يقول:

دعـوني دعـوني قـد أطلتم عـذابيـا … وأنضجتمُ جلدي بِحَــرِّ المكـاويــا
دعـوني أمُتْ غمّـا وهمّــاً وكـربــةً … أيـا ويح قلبي مَن بـه مثـل مـا بيـا
دعـوني بغمي وانهـدوا في كـلاءَةٍ … مِن الله قد أيقنتُ أن لستُ باقيا(٥٠)
[illegible]كُمُ [illegible]بي لـقيتُ مِـن الـهـوى … تبــاريـحَ أبلت جِــدَّتي وشبــابيــا
براني شـوقٌ لـو برضـوى لهـدّه … ولـو بثبير صـار رَمسـاً وسـافيا(٥١)
سقى الله أطـلالاً بنـاحيـة الحمى … وإن كنَّ قـد أبـدَين للنـاس مـا بيـا
منـازلُ لـو مـرَّت عليهـا جنـازتي … لقال الصدَى يـا حـامِلَيَّ انـزِلا بيـا
فـأشهـدُ بـالـرحمن من كـان مؤمنـاً … ومَن كان يرجو الله فهو دَعـا ليا(٥٢)
لحــا الله أقـوامـاً يقـولـون إننـا … وَجدناالهوى في النأي لِلصب شافيا(٥٣)
فما بال قلبي هـذه الشوقُ والهـوى … وأنضــج حَــرُّ البينِ مِـني فـؤاديـا
ألا ليت عيني قـد رأت مَن رآكـمُ … لعليَ أسلو سـاعــةً مِن هُيــاميــا
وهيهات أن أسلو من الحزن والهوى … وهذا قميصي مِن جَوى البين بـاليا
فقلت نسيمَ الـريـح أدِّ تحيتي … إليهـا ومـا قـد حـلَّ بي ودهـانيـا
فـأشكــرُهُ إني إلـى ذاك شـائـق … فيـا ليت شِعري هـل يكون تـلاقيـا
معـذبتي! لـولاكِ مـا كنتُ هـائمـاً … أبيتُ سخينَ العين حـرّانَ بــاكيــا
معـذبتي! قد طـال وَجـدي وشفَّني … هــواكِ فيـا للنــاس قَـلَّ عـزائيـا

---

(٥٠) إنهدوا أي انهضوا واتركوني، كلاءة من الله: حفظ من الله.

(٥١) براني: سلاني، رضوى: اسم جبل، ثبير: اسم جبل، رمساً: قبراً، سافياً: تراباً.

(٥٢) في نسخة «فاشهدوا بالرحمن...» والأقرب للصواب ما أثبتناه.

(٥٣) لحا الله أقواماً: دعاء ومعناهُ لعنَ الله أقواماً وهو دعاء مشهور عليهم، النأيُ: البعد، الصب: شديد الغرام.

معـذِّبتي! أوردْتِنِـي منهـلَ الـردَى وأخلفتِ ظني واخترمتِ وصاليا[٥٤]
خليليَّ هيَّا فاسعـداني على البُكـا فقـد جَهـدَتْ نفسي وربِّ المثـانيـا
خـليليَّ إنـي قـد أرِقتُ ونِـمتـمـا لبـرقٍ يمـانٍ فـاجلسـا علِّلانيـا
خليليَّ لـو كنتُ الصحيـحَ وكنتمـا سقيمين لم أفعـل كفعلكمـا بيـا
خَليليَّ مُدا لي فراشِيَ وارفعا وِسادي لعل النومَ يُذهِبُ مابيا
خَليليَّ قـد حـانت وفـاتي فـاطلبـا ليَ النعشَ والأكفـان واستغفـرا ليـا
وإن متُّ مِن داء الصبـابـة بـلِّغـا نتيجـةَ ضوء الشمسِ مِني سـلاميـا

(٥٤) يخاطب ليلى بأسلوب رقيق فيصفها بأنها معذبته التي أوردته منهل الهلاك، وأخلفت ظنه، واخترمت وصاله.
والمنهل: حوض الشرب.
والردى: الموت أو الهلاك.
واخترمت وصاليا: قطعته.

[من صحراء بني تميم]

وقال بعضهم: بينا أنا أدور في صحراء بني تميم إذ مررت بقانصين قد قنصا ظبياً وعقلاه، فوقفت أنظر إليهما، إذا أنا بغلام قد أقبل كأن وجهه فلقة قمر عليه ضفيرتان تضربان خصره، فدنا منهما وتأمل الظبي، ثم أرسل عينيه بالبكاء وهو يقول:

وذَكَّرني مَن لا أبوح بذكره ... محاجرُ خِشْفٍ في حبائل قانص[٥٥]
فقلتُ ودمع العين يجري بحرقة ... ولحظي إلى عينيه لحظةُ شاخص
ألا أيهذا القانصُ الخِشْفَ خَلِّهِ ... وإن كنتَ تأباه فخذ بقلائصي[٥٦]
خَفِ الله، لا تقتله إنَّ شبيهه ... حياتي وقد أرعدتَ مِني فرائصي

[فوالله ما برح حتى اشتراه وخلىً سبيله].

(٥٥) المحاجر هي العيون، والخشف: ولد الغزال، والحبائل هي شباك، والقانص: الصياد.
(٥٦) خله أي أطلق سراحه، وقلائص جمع على وزن فعائل، ومفردها القلوص وهي الشابة من النوق.

[قيس في منظور العشاق]

وقيل: دخل كثير بن عبد الرحمن على عبد الملك بن مروان وقد قعد للشرب، فقال: يا كثير هل رأيتَ أعشقَ منك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: وكيف وأنت القائل:

رُكبانُ مكة والذين أراهم ... يبلون من حَرِّ الفؤاد هُمودا[٥٧]
لو يسمعون كما سمعت كلامها ... خرّوا لعَزَّةَ رُكَّعاً وسجودا
الله يعلم لو أردت زيادةً ... في حب عزة ما وجدتُ مَزيدا

قال: أخبرك يا أمير المؤمنين، بينما أنا أسير في بعض البوادي في ساعة الهاجرة في يوم شديد الحر، إد رفع لي شخص في مفازة ليس بها أنيس، فذعرت منه، ثم ملت إليه، فإذا هو شاب حسن الوجه جعد الشعر فقلت: إنسي أنت أم جني؟ قال بل إنسي فقلت: ما أخرجك في هذه الساعة إلى هذه البرية؟ قال: نصبت شركا للظباء. قلت ـ وقد قرمت[٥٨] إلى اللحم يا أمير المؤمنين ـ: تجعل لي نصيباً إن أقمت عليك؟ قال نعم ونعمة عين، فأقمت عنده حتى اقتنص ظبية كأحسن ما يكون من الظباء، ثم قبض على قرنها وأقبل ينظر في محاسنها ويقول:

أيا شبهَ ليلى لا تُراعي فإنني ... لك اليوم مِن بين الوحوش صديقُ

ثم أطلقها وجعل ينظر في أثرها ويقول:

أقول وقد أطلقتها مِن وثاقها ... فأنت لليلى إن شكرتِ عتيق
فعيناك عيناها وجِيدك جيدها ... سوى أن عظم الساق منكِ دقيق
وكاد بلادُ الله يا أم مالك ... بما رَحبت منكم عليّ تضيق[٥٩]

---

(٥٧) قرأتها في نسخة من ديوان مجنون ليلى: «يبكون من حَرٍّ» بدلاً من «يبلون من حَرٍّ». والهمود هو انطفاء وسكون.

(٥٨) قرمت إلى اللحم: اشتد اشتهائي إلى اللحم.

(٥٩) في الأغاني للأصفهاني:

تكاد بلاد الله يا أم مالك ... بما رحبت يوماً عليّ تضيق =

قال: * ثم وقعت يا أمير المؤمنين ساعة، فإذا قد علقت أخرى فصنع بها ما صنع بالأولى ثم أطلقها وأنشأ **يقول**:

ألا يـا شبـه لـيـلى لا تـراعـي ... ولا تـنسـل(٦٠) عـن ورد الـتـلاع
لـقـد أشبـهـتـهـا إلا خـلالا ... نشـوز القرن أو خمش الكـراع(٦١)

فتعجبت يا أمير المؤمنين من صنعه، فما كان إلا هنيهة حتى علقت أخرى فأطلقها من وثاقها وجعل يبكي ويقول:

تـروَّحْ سـالـمـاً يـا شبـهَ لـيلى ... قـريـرَ العين واستِـطبِ الـبقـولا
فـليلى أنـقـذتـك من الـمـنـايـا ... وفكت عن قـوائمـك الكبـولا(٦٢)

فعاظني يا أمير المؤمنين غيظاً شديداً وقلت في نفسي ستعلم، ثم مكثنا ساعة فعلقت أخرى فوثبت إليها فكسرت يدها طمعاً في لحمها، فبكى بكاء عالياً، ثم قال: ويحك ما دعاك إلى أن أفسدت موضعاً يوافقني وكنت ألفته؟، ثم اغتفلني فأتى ماء كان قريباً منه فغمس فيه كساءه فبله، ثم أتى توبرة فأطفأها، ثم قال أفسدت حالي. ما أراه إلا أنه مات.

فقال عبد الملك بن مروان فأين أنت من قولك حيث تقول:

أيـا عَزّ لـوْ أشكـو الـذي قـد أصـابني ... إلى ميـتٍ في قـبـره لـبكى لـيـا(٦٣)
ويـا عزّ لـوْ أشكو الـذي قـد أصـابني ... إلـى راهـب فـي ديـره لـرثـى لـيـا

---

* بدلا من:

وكـاد بـلاذ [illegible] أم مـالـك ... بـمـا رحـبـت منـكـم علـيَّ تـضـيـق

وأم مالك كنية ليلى العامرية محبوبة قيس بن الملوح وكثيراً ما كان يناديها بهذه الكنية.

(٦٠) تنسل من الفعل انسل بمعنى خرج، والتلاع على وزن الفعال، وهي جمع تلعة: ما ارتفع من الأرض وانخفض.

(٦١) خلالاً: فعالاً جمع خلة وهي الصفة، نشوز: بروز وارتفاع، خمش بمعنى خدش، والكراع هو في الغنم والبقر كالوظيف في الفرس والبعير. وهو مستدق الساق يذكر ويؤنث والجمع (أكرع) ثم (أكارع). وفي المثل: أعطي العبد (كراعاً) فطلب ذراعاً لأن الذراع في اليد وهو أفضل من الكراع في الرجل. و (الكراع) اسم يجمع الخيل. والفعل منها (كرع) في الماء تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء وبابه خضع، وفيه لغة أخرى من باب فهم.

(٦٢) قوائمك مفردها (قائم) اسم فاعل، ومعناها سيقانك، والكبول على وزن فعول: جمع كبل وهو القيد.

(٦٣) (عز) مرخمة حذف منها حرف التاء المربوطة، والمقصود بها (عزة) محبوبة كثير بن عبد الرحمن الشاعر الأموي وشاعر الغزل العذري المعروف.

ويا عَزّ لَوْ أشكو الذي قد أصابني | إلى جبل صعبِ الذُرَى لا نحنى ليا
ويا عزّ لو أشكو الذي قد أصابني | إلى ثعلبٍ في جحره لا نبرى ليا
ويا عزّ لو أشكو الذي قد أصابني | إلى موثق في قيده لعدا ليا

قال: أشعر مني يا أمير المؤمنين الذي يقول:

إن الظباء التي في الدُّور تُعجبني | تلك الظباء التي لا تأكل الشجرا
لهنَّ أعناقُ غزلانٍ وأعينَها | وهنَّ أحسن مِنْ أبدانها صُورا
وَلِي فؤادٌ يكاد الشوق يصدَعه | إذا تذكر من مكبوته الذكرا
كانت كدُرةٍ بحرٍ غاص غائصها | فأسلمتها يداه بعدما قدرا

ويقول:

إذا نظرتْ عرفت الجيدَ منها | وعينيها ولم تعرف سواها
كرهنا أن نُفزِّعها فقلنا | أشَل الله كفَّ من رماها

قال فمن هذا؟ قلت: يا أمير المؤمنين هو الذي يقول في قصيدته:

وكنتُ كذَبَّاح العصافير دائباً | وعيناهُ مِن وجدٍ عليهن تهمل(٦٤)
فلا تنظري ليلى إلى العين وانظري | إلى الكف ماذا بالعصافير تفعل

قال: ويحك عساه المجنون؟ قلت: نعم، قال: فزدني من شعره، فقلت: قال:

لَوْ سِيلَ أهلُ الهوى مِن بعد موتهم | هل فرجتْ عنكم مُذ مُتم الكُرَبُ
لقال صادقهم أن قد بلى جسدي | لكن نار الهوى في القلب تلتهب
جفّت مدامعُ عين الجسم حين بكى | وإنّ بالدمع عينَ الروح تنسكب

وقال:

أحن إلى أرض الحجاز وحاجتي | خيامٌ بنجدٍ دونها الطرف يقصر
وما نظري من نحو نجد بنافعي | أُجَل ولكني على ذاك أنظر
أفي كل يوم عبرة ثم نظرة | لِعينك يجري ماؤها يتحدر
متى يستريح القلب إمّا مجاور | حزين وإما نازح يتذكر

---

(٦٤) تهمل أي تدمع.

يقولون كم تجري مدامعُ عينه لها الدهرَ دمع واكفٌ يتحدر[٦٥]
وليس الذي يجري من العين ماؤها ولكنها نفسٌ تذوب وتفطر

وقال:

وشُغلت عن فهم الحديث سوى ما كان منك وحبكم شغلي
وأُديم نحو محدِّثي ليرى أن قد فهمتُ وعندكم عقلي

---

(٦٥) **واكف** أي غزير.

[جرير يتكلم]

وقال: واجتمع قوم على جرير بن الخطفي(٦٦) فقال لهم جرير: ما بيتٌ نصفه كأنه أعرابي على قعود، ونصفه كأنه جالينوس بحكمته؟ قالوا: لا ندري. قال: قد أجلتكم، قالوا: لو أجلتنا حولين لم ندر ولكن عرّفنا، فأنشأ يقول:

(ألا أيها النوام ويحكم هبوا) كلمة أعرابي على قعود له، ثم أدركه اللين ووضوح الحب فقال (أسائلكم هل يقتل الرجلَ الحبُّ).

فقالوا: نعم حتى يرُضّ عظامه ... ويتركه حيرانَ ليس له لب

فيا بعلَ ليلى كيف يجمع شملنا ... لديّ وفيما بيننا شبّت الحربُ

لها مثل ذنبي اليوم إن كنتُ مذنبا ... ولا ذنب لي إن كان ليس لها ذنب

إلى الإلمام بها، فنزلت في أرجاء تلك الأزاهير المونقة والأنوار البديعة المورقة. وأنخت ناقتي إلى قنوان(٦٧) شجرة صغيرة وجلست هنيهة، فبينا أنا كذلك إذ سقط رجل من جراد(٦٨)، فافترشت جنباتها وأخذت طولها وعرضها، فظللت متعجباً مما أرى ثم رميت نظري في نواحيها فإذا أنا بشخص أقبل ما على جسده غير شعر منسدل على صدره، وزغبات على عكنه(٦٩)، فراعني منظره واستطار قلبي خوفاً ووجلاً، وخشيت أن أكون على شرف الهلاك، وما شككت أنه شيطان مارد فلما دنا مني أنشأ يقول:

(٦٦) هو جرير بن عطية من قبيلة يربوع وهي فرع من مضر، كان مولده في اليمامة وهي مدينة الرياض السعودية الآن، ولد في خلافة ذي النورين عثمان بن عفان الخليفة الراشدي الثالث. نشأ جرير فقيراً يرعى الغنم، ولكنه كان موهوباً في الشعر الذي ورثه ـ كما يقال ـ عن أبيه وجده. وقد ظهر في عصر سياسي وأدبي فاشتعلت عبقريته وصار في الصفوف الأولى من شعراء ذلك العصر، واتصل بالحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بين أمية، وعن طريقه مدح خلفاء بني أمية ونال جوائزهم، وكانت وفاته سنة ١١٠ هـ.
وجرير من شعراء النقائض، وهو خصم الفرزدق اللدود.

(٦٧) قنوان، مفردها قنو، ومعناها فروع.

(٦٨) رحل من جراد: سرب من جراد.

(٦٩) زغبات: الزغب بفتحتين الشعيرات.
والعكن جمع عُكنة وهي الطية من البطن.

حُبٌّ إلينا بِكَ يا جرادُ

أرضٌ وإن جاعت بِكَ الأكبادُ وضاقت الأصدار والأورادُ
ولم يكن قبلُ لنا عِتادُ ولا لأبناء السبيل زادُ

فقلت: إنسي أنت أم جني؟ فأنشأ يقول:

إليك عني فإني هائم وصِبُ أما ترى الجسم قد أودى به العطبُ(٧٠)
لله قلبيَ ماذا قد أتيح له حَرُّ الصبابة والأوجاع والوصبُ
ضاقت عليّ بلاد الله ما رحبتْ يا للرجال فهل في الأرض مطّرب(٧١)
البينُ يؤلمني والشوق يجرحني والدار نازحةٌ والشمل منشعِب
كيف السبيل إلى ليلى وقد حُجِبت عهدي بها زَمنا ما دونها حُجُبُ

ثم خر مغشياً عليه، فبادرت إلى الماء ونضحت على وجهه، فأفاق بعد حين ثم تنفس الصعداء فأنشأ يقول:

بلادي لو فهمتِ بسطتُ عذري إذا ما القلبُ عاوده نزوعُ
بها الحَيْنُ المباحِ لمن بغاهُ وجزعٌ للغريب به مريع(٧٢)
إلى أهلي الكرام تُشاق نفسي فهل يوماً إلى وطني أريع

---

(٧٠) وصِبٌ: صيغة مبالغة من واصب بمعنى مريض.
(٧١) مطرب على وزن مفعل، مكان يكون فيه طرب.
(٧٢) الحين (بفتح حرف الحاء) هو الهلاك.
الجزع ضد الصبر.
مريع: مخيف.

[ياركيات الرسيس]

وقيل: كانت العرب تحفر الركايا[٧٣] والبرك وتملؤها ماء ثم تسقي إبلها وغنمها فإذا انتجعت[٧٤] إلى غير تلك البقعة عفتها الرياح الصيفية فطمست آثارها القساطل[٧٥]، فكان المجنون يمر بتلك البقاع فلا يرى غير وتد مشجوج ونؤي[٧٦] منهدم وطوى مثلوم[٧٧]، فيستعبر أسفاً وحزناً ويقول:

ألا يا رُكياتِ الرَّسيس على البِلا ... سُقيتن هل في ظلكن شجونُ[٧٨]
أضرَّبكن العامَ نوءُ سحابةٍ ... ومَحْلٌ فما تجري لكن عيون[٧٩]
أجنُنَّ بعد الحي فانصاحت اللوى ... وكنتن عهدي ما بكن أُجونُ[٨٠]

قال: ثم قعد عند جبل يقال له الوشل بناحية تهامة، كأعظم ما يكون من الجبال، وأنشد يقول:

إقرأ على الوشل السلامَ وقلْ لهُ ... كلُّ المشاربُ مُذْ هُجِرتَ ذميمُ
جبلٌ يزيد على الجبال إذا بدا ... بين الذرائع والحثوم مقيم[٨١]

---

(٧٣) الركايا: جمع ركوة وهي الحفرة التي للماء.
(٧٤) تركتها إلى مكانٍ آخر.
(٧٥) القساطل: الأتربة الكثيرة.
(٧٦) مكان متهدم: أو أماكن للسكن متهدمة.
(٧٧) طوى مثلوم: بئر مطوي مهدوم.
(٧٨) الركيات: هي الحفر التي يتجمع فيها الماء.
الرسيس: اسم موضع.
(٧٩) مَحْلٌ: جدب ويبس الأرض.
عيون: المقصود بها عيون الماء.
(٨٠) أجنُنَّ: تغير لون ماؤكن وطعمه.
فانصاحت: تصدعت ويبست.
اللوى: اسم موضع أو متقطع الرمل.
(٨١) الذرائع: جمع ذريعة وهي الوسيلة.
الحثوم: على وزن فعول، جمع حثمة وهي الربوة، وقد يكون اسم موضع.

تســرِي الصبــا فَتبيتُ في ألــوازه   ويبيت فيـه مـع الشمــال نسيم[٨٢]
سُقياً لِـظلِّكَ بــالعشي وبـالضحى   ولبــرد مـائــك والميــاه حميم[٨٣]
لو كنتُ أملك منعَ مـائك لم يـذقْ   مــا في فــلاتــك مــا حييتُ لئيم

---

(٨٢) الصبا : ريح .
ألوازه : جمع لوزة وهي ثمر شجر ينمو في المناطق المعتدلة .
(٨٣) سقياً لظلك : دعاء له بأن يكون دائم السقيا، حميم : ساخنة .

[عفا الله عن ليلى]

وقيل: خرج رجل يريد سفراً فبينما هو يمر بين سباسب وآكام إذ رأى رجلاً نحيل الجسم كأضوأ ما يكون من الرجال، وهو على شفير بئر، قال: فدنوت منه، فإذا هو يقول:

عفـا الله عن ليلى وإن سفكتْ دمي ... فـإني وإن لم تُجـزِني غيـرُ عـائبِ
عـليهـا، ولا مبـدٍ لليـلى شكـايـةً ... وقد يَشتكي المُشكَى إلى كل صاحبِ
يقـولـون تُبْ عن ذكـرِ ليلى وحبِّهـا ... ومـا خَلَدي عن حب ليلى بتائبِ

وقال أيضاً:

فيا قلبُ مُتْ حزناً ولاتـكُ جـازعـاً ... فـإن جـزوع القـوم ليس بخـالـدِ
هَـوَيتُ فتـاةً كـالغـزالـة وجههـا ... وكـالشمس يَسبي دَلُّها كـلَّ عـابـدِ
ولـي كبـدٌ حـرٌّ وقـلبٌ مـعـذَّب ... ودمـعٌ حثيث في الهـوى غيـرُ جامـدِ
وآيـة وَجـدِ الـصبِّ تَـهـطال دمعـه ... ودمـعُ شجي الصب أعدَل شـاهـدِ
على مـا انطوى مِن وَجـده في ضميره ... على الآنسات الناعمـات الخرائـدِ(٨٤)
فيـا ليت أن الـدهـر جاد بـرجعـةٍ ... وهيهات، إنَّ الـدهـر ليس بعـائـدِ
إليـك فعـزِّ النفس واستشعـرِ الأسَى ... فحبـك يُنمـي زائـداً غيـر بـائـدِ
وقـد شسعتْ لـيـلى وشطَّ مـزارهـا ... وغيَّرهـا عن عهـدهـا قـولُ حاسـدِ
فـيـا أسفـا حَـتّـامَ قـلبي مـعـذَّبٌ ... إلى الله أشكـو طـولَ هـذِي الشـدائـدِ

ثم رجعت فتركته ومضيت عنه.

---

(٨٤) الخرائد: جمع خريدة وهي العذراء.

[مودة الحبيب]

وعن رجل من بني عامر قال: لقيت المجنون عند قفوله عن البيت الحرام، فقلت له: ويحك استشعر الصبر واستبق مودة الحبيب بكتمان الحب، واعلم أنك لا تصل إلى الحبيب إلا بالستر ونفيك الشنعة، فإن التهتك يقطع مواد الغبطة. وليس للمهتوك ألفة، والمستور طويل مدة الغبطة. فكان من جوابه أن قال:

إن الغـوانِيَ قتَّـلت عشـاقهـا ... يـا ليتَ مَن جهـل الصبابـةَ ذاقهـا
فـي صـدغهـن عقـاربٌ يلسعْننا ... مـا مَن لسَعن بـواجـدٍ تـريـاقهـا
إن الشقـاءَ عنـاقُ كـل خـريـدة ... كـالخيـزرانـة لا نمـلُّ عنـاقهـا
بيضٌ تُشبـه بـالحقـاق ثُـديُّهـا ... من عاجة حكت الثدِيُّ حقاقها[85]
يُـدمي الحـريـرُ جلودَهن وإنمـا ... يُكسَين من حُلل الحـريـر رِقـاقهـا
زانت روادفهـا دِقـاق خصـورهـا ... إني أحب من الخصـورِ دقـاقهـا
إن التي طـرق الـرجـالُ خيـالهـا ... مـا كنتُ زائـرهـا ولا طـرّاقهـا

وقال أيضاً:

وقـالـوا لـو تشـاءُ سلوتَ عنهـا ... فـقلتُ لـهـم فـإنـي لا أشـاء
وكـيـف وحـبـهـا عَـلِقٌ بـقـلبـي ... كـمـا علقـتْ بـأرشيـةٍ دِلاءُ[86]
لـهـا حُـبٌ تَـنَـشَّـأ فـي فـؤادي ... فـليس لـه وإن زُجـر انـتـهـاءُ
وعـاذلـةٍ تُـقَـطِّعـنـي مَـلامـاً ... وفـي زَجـر الـعـواذل لـي بـلاء

قال: فأقسمت عليه أن ينشدني أحسن ما قاله في وصف المحاجر والأطراف والبشر والجلد، فقال:

(٨٥) الحقاق: جمع حُقّ وهي الآنية الصغيرة.
(٨٦) الأرشية: جمع رشاء، وهو الحبل.
والدلاء: جمع دلو.

ليـــالِيَ أصبــو بـــالعشِّي وبـــالضحى ... إلى خُرَّدٍ ليست بسودٍ ولا عَصْلِ (٨٧)
مُنعمــــة الأطــــراف هَيف بـــطونهـــا ... كواعبُ تمشي مشية الخيلِ في الوحل
وأعـنــاقهـــا أعـنـــاقُ غُـــزْلانِ رملةٍ ... وأعينهـــا من أعيُن البقـــر الـنُّجـــل
وأثـلاثهـا السفليِ بَـرادِيٌّ ساحـلٍ ... وأثلاثها الوسطى كثيبٌ مِن الرمل(٨٨)
وأثـلاثهـا العليـا كـأن فــروعهـــا ... عنـاقيدُ تُغـذى بالـدهان وبـالعسـل
وتـــرمِي فتصـطادُ القلوبَ عيـــونُهـا ... وأطـرافها مـا تُحسن الرِّميَ بـالنبـل
زرَعن الهـوَى في القلب ثم سقينـهُ ... صَبابات ماءِ الشوق بـالأعين النُّجل
رعـابيب مـا صِــدنَ القلوبَ وإنمـا ... هي النبل رِيْشتْ بالفتور وبالكحل(٨٩)
فـفيـم دمـــاءُ العـــاشـقـيـن مُـطلةٌ ... بلا قَودٍ عند الحسان ولا عقـل(٩٠)
ويقتـلـن أبنـــاءَ الـصبــابـــة عُـنـــوةً ... أمَا في الهوَى يا ربِّ من حكَم عدل!

---

(٨٧) خرد: عذراء.
سود: يغلب عليها السواد.
عصل: غير واضحة الرؤية.
(٨٨) برادي: قد يكون نبات البردي الذي ينمو على ضفاف الأنهار، ويصنع منه الحصر، وكان قدماء المصريين يصنعون منه الورق.
(٨٩) رعابيب: على وزن فعاليل، وهي جمع (رعبيب) على وزن (فعليل) بمعنى خائف أو مرتعد.
ريشت: حليت بريش مثل السهم، وكان المحاربون قديماً يحفظون توازن السهم بريشة أو بريش وكثيراً ما ذكر ذلك في شعر الفروسية.
الفتور: الوهن أو الضعف وتأتي في البيت بمعنى الخجل.
(٩٠) القود: بفتحتين هو القصاص.
عقل: دية.

[العلوي يقول:]

● **وقال** أبو الحسن العلوي: سألتُ الوالبي عن أحسن شيء قاله المجنون في العفة، فأنشدني:

ألا يا شِفاءَ النفس لو يُسعفُ النوى ... ونجـوى فؤادي لا تُبـاح سـرائرُهْ
أثـيبـي فتًـى حقَّـقتِ قـولَ عـدوِّهِ ... عليـه وقلَّتْ في الصـديق معـاذرهْ
أحبـك يـا ليلى على غيـر رِيبـةٍ ... ومـا خيـرُ حبٍ لا تَعُفُّ ضمـائـرهْ

وأنشد:

يجيشـون في ليلى عليَّ ولم أنـلْ ... مع العذلِ من ليلى حراماً ولا حلاّ
سـوى أن حبـاً لـو تشـاءُ أقلها ... ولـو تبتغي ظـلاً لكـان لها ظـلاّ
ألا حبـذا أطـلالُ ليلى على البـلا ... ومـا بـذلتْ لي مِن نـوالٍ وإن قـلاّ
فمـا يتمـادى العهـد إلاّ تجـدَّدتْ ... مـودتهـا عنـدي وإن زعمت أنْ لا

[يا غراب البين]

وقال بعضهم: بينما المجنون ذات يوم جالس إذ مر به غراب، فأنشأ **يقول**:

ألا يـا غراب البين إن كنتَ هـابطاً ... بـلاداً لليلى فـالتمسْ أن تكلمـا
وبَلِّغ تحيـاتي إلـيهـا وصَبـوتي ... وكن بعدها عن سائر الناس أعجما

[البرق يلوح]

قال: بينما المجنون ذات يوم في خطرات جنونه وحيرته لا يدري أين يتوجه إذ برق[91] له فوقف ساعة ثم قال:

ألا لا أحب السيـرَ إلا مصعِّـداً ... ولا البـرقَ إلا أن يكـون يمـانيـا
على مِثـل ليلى يَقتـل المرءُ نفسـه ... وإن كنتُ من ليلى على اليأس طاويا
إذا مـا تمنى النـاس رَوْحـاً وراحـةً ... تمنيتُ أن ألقـاكِ يـا ليـل خـاليـا
أرى سَقما في الجسم أصبح ثـاوياً ... وحـزنـاً طـويـلاً رائحـاً ثم غـاديـا
ونـادَى منادِي الحبِّ أين أسيـرُنـا؟ ... لـعـلـك مـا تـزداد إلا تـمـاديـا
حـملتُ فـؤادِي إن تعـلق حـبـهـا ... جعلتُ لـه من زفرة المـوت فـاديا

وقال أيضاً:

لـقــد طــرقتـنـي أمُّ خشـفٍ وإنـهـا ... إذا صـرع القـومَ الكـرى لَطروقُ[92]
أقـام فـريـقٌ مـن أنـاسٍ بـودهـم ... بذات الشرَى عنـدي وبانَ فـريق[93]
بـحـاجـة مـخـزونٍ كئـيـبٌ فـؤداه ... رهينُ ببيضاتِ الحجـال صـديق[94]
تـخَيـلن أن هـبت لـهـن عشـيـةً ... جَـنـوبٌ وإن لاحت لـهن بـروق[95]
فـيـا كبـداً أخشى عـليـهـا وإنـهـا ... مخـافـة هضبـات اللوَى لـخَفَـوق
كـأنَّ فضـولَ الـرقم حين جعلتـهـا ... غـدِّيَّاً على أدْمِ الجمـال عُـذُوق[96]

---

(٩١) ظهر وبان.

(٩٢) طرقتني: زارتني أو تذكرتها ليلاً.
الخشف: ولد الغزال.
الكري: النوم.

(٩٣) ذات الشرى: اسم موضع.

(٩٤) رهين: متعلق أو أسير.
الحجال: الخلاخيل.

(٩٥) جنوب: ريح الجنوب.

(٩٦) فضول الرقم: ما تبقى من الكتابة وآثارها.
الأدم: بفتحتين وضمتين جمع أديم وهو الجلد المدبوغ.

وفيهن من نُجْلِ النساء بحلةٍ تكاد على غُرِّ السحاب تروق
حبانٌ فأما الدِّعص مِن أخرياتها فوَعثٌ وأما خَصرُها فدقيق(٩٨)

وقال أيضاً:

أقول لقمقام بن زيد ألا ترى سَنا البرقِ يبدو للعيون النواظرِ
فإن تبكِ للبرق الذي هيج الهوى أُعِنكَ وإن تصبر فلستُ بصابرِ
سقى الله حياً بين ضارة والحمى حِمَى الرشف صوبَ المدجنات المواطرِ(٩٩)
أمينُ بوادي الله مَن كان منهمُ إليهم ووقاهم صروف المقادرِ

---

(٩٧) غر السحاب: السحاب الأبيض.
تروق: تصفو.
(٩٨) الدعص: الرمل أو الكثيب المجتمع.
وعث: رمل دقيق ناعم تغوص فيه القدم.
(٩٩) ضارة والحمى: اسمان لموضعين
المدجنات: السحاب الممطر.
الرشف: اسم موضع.

[عاشق ذو صبابة]

وقيل: إنه مر ذات يوم بدوحة مديدة الظل باسقة الأغصان وريقة الأفنان في يوم غليل شديد القيظ فاستند إلى ساقها واستظل بظلها وقد خامرته الهموم وعلاه الجنون، فرقدت عيناه فما انتبه إلا بصفير طائر على الشجرة فانتبه فزعاً مرعوباً، فأنشأ يقول:

لقد هتفت في جنح ليلٍ حمامَةٌ ... على فَننٍ وَهناً وإني لنائمُ
فقلت اعتذاراً عند ذاك وإنني ... لنفسي فيما قد أتيت لَلائمُ
أأزعمُ أني عاشقٌ ذو صبابة ... بليلى ولا أبكي وتبكي البهائمُ
كذبتُ وبيت الله لو كنت عاشقاً ... لما سبقتني بالبكاء الحمائمُ

وقال أيضاً:

هوى صاحبي ريح الشمال إذا جرتْ ... وأهوى لنفسي أن تَهبَّ جَنوبُ
فويلي على العذّال ما يتركونني ... بِغمّي أما في العاذلين لبيبُ
يقولون لو عَزيت قلبك لارْعوى(١٠٠) ... فقلت وهل للعاشقين قلوبُ
دعاني الهوى والشوق لما ترنمت ... هَتوفُ الضحى بين الغصون طَرو
تُجاوب وُرقاً قد أصخنَ لصوتها ... فكلٌّ لكلٍّ مُسعِدٌ ومجيـ
فقلت حمامَ الأيكِ مالك باكياً ... أفارقتَ إلفاً أم جفاك حبـ
تُذَكرني ليلى على بعدِ دارِها ... وليلى قتولٌ للرجال خـ
وقد رابني أن الصَّبا لا تُجيبني ... وقد كان يدعوني الصبا فـ
سبى القلبَ إلا أن فيه تجلداً ... غزالٌ بأعلى الماتحين ربيـ
فكلّمْ غزال الماتِحَين فإنه ... بدائي وإن لم يشفني لـ
فلو أنّ ما بيَ بالحصا فَلق الحصا ... وبالريح لم يُسمع لهـ

---

(١٠٠) ارعوى: انتهى وامتنع.
(١٠١) الماتحين: جبل.
ربيب: أي تربى ونشأ فيه وهي على وزن فعيل.

ولـو أنني أسـتغـفـرُ الله كـلمـا   ذكـرتـكِ لـم تُـكـتـبْ عـليّ ذنـوب
فـدَومي على عهـدٍ فلستُ بـزائـلٍ   عن العهـدِ منكم مـا أقـام عَسيب

وقال أيضاً:

أمـوت إذا شَـطَّتْ وأحيـا إذا دَنت   وتبعث أحـزاني الصَّبـا ونسيمهـا
فمن أجل ليلى تُولـع العينُ بالبكـا   وتـأوِي إلى نفسٍ كثيرٍ همـومُها
كـأن الحشـا مِن تحتـه علقتْ بـه   يـدٌ ذاتُ أظفـار فـأدْمت كلومُهـا

[يا موقد النار]

قيل: إن المجنون صحب يوماً أصحاب إبل[١٠٢] واستُروح بهم فنزلوا منزلاً لم يجدوا لإبلهم فيه ماء قد أجهدهم الكلال، فباتوا ليلتهم، فلما نوّر الصباح قدح أحدهم ناراً فكلما التهبت أطفأتها الريح والمطر، فلما طال ذلك عليهم أنشأ المجنون يقول:

يا مُوقِدَ النارِ يُذكيها ويُخمِدها ... قَـرُّ الشتاءِ بأرياحٍ وأمطار
قُمْ فاصْطلِ النارَ مِن قلبي مضَرَّمةً ... فالشوقُ يُضرمها يا مُوقِدَ النار
ويا أخا الذَّود قد طال الظماءُ بها ... لم تدرِ ما الرِّي مِن جَذْبٍ وإقتار[١٠٣]
رُدّ المطيَّ على عيني ومِحجرها ... تَروي المطيَّ بدمعٍ مُسبِلٍ جار
يا مزمعَ البين إن جدَّ الرحيل فلا ... كان الرحيلُ فإني غيرُ صبَّارِ

وقال:

أقول لأصحابي وقد طلبوا الصِّلا ... تعالَوْا اصطلوا إن خفتم القرَّ من صدري
فإنَّ لهيب النارِ بين جوانِحي ... إذا ذُكِرَتْ ليلى أحَرُّ من الجمر
فقالوا نريد الماء نسقِي ونستقي ... فقلت تعالوا فاستقوا الماء من نهري
فقالوا وأين النهرُ قلتُ مدامعي ... سيغنيكم دمعُ الجفون عن الحَفر
فقالوا ولِمْ هذا فقلت مِن الهوى ... فقالوا لحاك الله قلت اسمعوا عذري
ألم تعرفوا وجهاً لليلى شعاعُه ... إذا برزت يُغني عن الشمس والبدر
يمرّ بوهمي خاطرٌ فيؤدّها ... ويجرحها دون العيان لها فكري
مُنَعمةٌ لو قابل البدر وجهها ... لكان له فضلٌ مبينٌ على البدر
هِلاليةُ الأعلى مُطلخةُ الذرا ... مُرَجرجة السفلى مهفهفةُ الخصر[١٠٤]

---

(١٠٢) من الممكن أن يكون نوام الرعاة.

(١٠٣) إقتار: قلة الماء.

(١٠٤) مطلخة على وزن مفعلة، من الطلخ: هو ما يبقى في قاع الحوض، ويكون اسود اللون، والمقصود أنها سوداء الشعر.
الذرا: الرأس أو الشعر.

مبتَّلَةٌ هيفـاءُ مهضـومـة الحشـا ... مُـوَرَّدة الخـدَّين واضحـة الثغـر(١٠٥)
مُـدَمْلَجَـةُ السـاقينَ بضٌ بضيضـةٌ ... مفلجـة الأنياب مصقولـة الخَمـرِ(١٠٦)
فقـالـوا أمجّنـونٌ فقلتُ مُـوسْـوِس ... أطـوف بـظهـر البيـدِ قفـراً إلى قفـرِ
فـلا مَلكُ المـوتِ المـريـحُ يـريحني ... ولا أنـا ذو عيش ولا أنـا ذو صبـر
وصـاحت بوَشْـك البين منهـا حمـامـةٌ ... تَغنت بليـل فـي ذُرَى نـاعم نـضـر
عـلى دَوحـة يَسْتَنُّ تحـت أصـولهـا ... نـواقـعُ مـاءٍ مَـدَّه رَصَفُ الصخـر(١٠٧)
مـطوَّقة طَـوقـا تـرى في خُـطامهـا ... أصـولَ سوادٍ مـطمئن على النحر(١٠٨)
أرَنت بـأعلى الصـوت منهـا فهيجت ... فؤاداً مُعَنًّى بـالـمليـحـة لـو تـدري
فـقلت لـهـا عـودي فلمـا تـرنـمت ... تبادرت العينان سحّاً على الصدر(١٠٩)
كـأن فـؤادي حيـن جَـدَّ مسيـرُهـا ... جنـاحُ غـراب رام نَهضاً إلى الـوكـر
فــودَّعتهـا والنـار تقـدح في الحشـا ... وتــوديعهـا عِنـدي أَمَـرُّ مِن الصبـر
ورُحتُ كـأني يـوم راحت جمـالُهم ... سقيت دَمَ الحيـاة حين انقضى عمري
أبيتُ صـريـعَ الحُبِّ مدمًى من الهوى ... وأصبـح منـزوع الفؤاد مـن الصبـر

= مرجرجة: كثيرة الاهتزاز.
مهفهفة: ضامرة نحيلة.

(١٠٥) مبتلة: من بتل الشيء إذا أبانه من غيره، والمعنى انها ظاهرة بارزة.
هيفاء: طويلة.
موردة الخدين: خداها بلون الورد.
مهضومة الحشا: ليس لها بطن بارز.

(١٠٦) مدملجة الساقين: ممتلئة الساقين.
بضة بضيضة: بيضاء.
مفلجة الأنياب: الفلج في الأسنان هو التباعد بينها ويعتبر من علامات جمال المرأة.
الخمر: الخمار.
مصقولة: سميكة.

(١٠٧) يستَنُّ: يرعى العشب.
مدَّهُ: أي أمده بماء.
رضق الصخر: الصخور المحماة المشتعلة.

(١٠٨) مطوقة: أي عليها طوق.
خطامها: الخطام هو زمام الفرس أو أثر الطوق هنا.

(١٠٩) تغنت.

رمتني يــدُ الأيّـام عن قــوس غِــزَّة
بسهمين في أعشـار قلبي وفي سحري

بسهمين مسمــومين من رأس شــاهقٍ
فغــودِرتُ محمبــرًّ التــرائب والنحـر

مُنــايَ دَعيـني فـي الهــوى متعـلِّقـا
فقــد مِتُّ إلا أنـني لـم يُــزَرْ قبـري

فلو كنتِ مــاءً كنتِ من مــاء مــزنــةٍ
ولـو كنتِ نَومـاً كنت مُن غفـوة السحـر

ولــو كنت ليـلاً كنت ليــلَ تَــواصــلٍ
ولو كنت نجماً كنتِ بدر الدجى يَسريَ

عليــك سـلام الله يــا غــايــةَ المنى
وقــاتلتي حتى القيــامــةِ والحشــر

[طير يتحلق]

قال: ونظر ذات يوم إلى طير يتحلق في جو السماء فأتبعه بصره(١١٠) وأنشأ يقول:

ألا أيهـا الـطيـر المحلِّق غـاديـا ... تَحَمَّـل سـلامي لا تَـذَرْني مناديـا
تحمَّـل هَـداك الله مِني رسـالـةً ... إلى بلدٍ إن كنتَ بـالأرض هـاديـا
إلى قفـرةٍ من نحـو لـيلى مُـضلَّةٍ ... بهـا القلبُ مِنـيَ مـوثَقٌ وفـؤاديـا
ألا ليتَ يـوماً حـلَّ بي من فـراقكم ... تـزودتُ ذاك الـيـوم آخـر زاديـا

[جبل الثوبان]

قال موسى بن جعفر: خرج المجنون لما أصابه ما أصابه حتى أتى الشام فسأل عن أرض بني عامر، فقيل وأين أنت من أرض بني عامر؟ عليك بنجم كذا، فرجع إلى أرض بني عامر ووقف عند جبل يقال له ثوبان فقال:

وأجهشتُ للثـوبـان حين رأيتـه ... وهـلَّلَ لـلرحـمـن حـيـن رآنـي
وأذريتُ دمـعَ العـين لـمـا رأيتـه ... ونـادى بـأعلى صـوتـه ودَعـاني
فقُلت لـه أين الـذين عـهـدتُهـم ... حـوالَيك في خصبٍ وطيب زمـان؟
فقـال مَضَوْا واستـودعـوني بـلادَهم ... ومَن ذا الـذي يبقى مـع الحـدَثـان
وإني لأبكي اليومَ مِن حَذَري غـداً ... فـراقَـك والـحيـان مـؤتـلفـان
سِجـالاً وهَتَّـانـاً ووبْـلاً وديمـةً ... وسَحّاً وتِسجاماً إلى هَمَلانِ (١١١)

---

(١١٠) نظر إليه وتأمله.

(١١١) سجالاً: أي كماء السجل وهو الدلو إذا كان فيه ماء.
الهتان: المطر المنقطع.
الوبل: المطر المتواصل.
ديمة: مطر دائم.
سحاً: يقال للمطر والدموع إذا سالت بكثرة.
تسجاماً: من سجم الدمع إذا سال.
هملان: من هملت عيناه إذا فاضت من كثرة البكاء.

[الواشون]

قال الوالبي : ذُكر أن أباه الملوح وإخوته ساروا إلى الصحراء ليأخذوه ويردوه إلى الحي(١١٢) وأهل بيته ، وذلك بعد ما نحل جسمه واسود وجهه وجف جلده على عظامه ، فلما وردوا عليه لقوه قاعداً على تل من رمل وهو يخط بأصبعه ، فلما دنوا منه نفر ، فناداه أبوه : يا قيس ! أنا أبوك الملوح وهذا أخوك ، فطب نفساً وأبشر فقد وعدني أن يزوجكها ويردك من نفارك وينزل عند حكمك ورضاك . فأقبل إليهم وأنس بهم ، فقال له أبوه : يا قيس أما تتقي الله وتراقبه ! كم تطيع هواك وتعصيني ، فقد كنتَ أرجى ولدي ، أفضلك عليهم وأوثرك ، فأخلفتَ ظني ولم تحقق أملي ، فليت شعري ما أراها ممن يوصف بالجمال والحسن ، وقد بلغني أنها فوهاء(١١٣) قصيرة جاحظة العينين شهلة(١١٤) سمجة ، فعد عن ذكرها ولك في قومك مَن هي خير لك منها . فلما سمع ثلبه فيها أنشأ يقول :

يقول لي الواشون ليلى قصيرةٌ ... فليت ذراعاً عرْضُ ليلى وطولها
وإنَّ بعينيها لَعَمرك شَهلةً ... فقلت كرامُ الطير شُهلٌ عيونها
وجاحظة فوهاءُ لا بأس إنها ... منى كبدي بل كلُّ نفسي وسُولها(١١٥)
فَدَقَّ صِلاَبَ الصخر رأسك سرمداً ... فإني إلى حين الممات خليلها

فلما سمعوا هذه الأبيات تركوه وانصرفوا قانطين ، فبينا هو ذات يوم نائمٌ إذ مر به رجل فقال :

ألا إن ليلى بالعراق مريضةٌ ... وأنتَ خليُّ البال تلهو وترقد
فلو كنتَ يا مجنونُ تُضْنَى مِن الهوى ... لبتَّ كما بات السليم المسَهَّد

---

(١١٢) مكان أهله .

(١١٣) فوهاء : واسعة الفم قبيحة .

(١١٤) شهلة : شهل العين ، أن يشوب سوادها زرقة وهو من علامات القبح .

(١١٥)جاحظة : بارزة العينين.
سولها : مخففة سؤلها أي كل ماتسأله .

فخرَّ المجنون مغشيّاً عليه لما سمع ذلك فلما أفاق أنشأ يقول:

يقولون ليلى بالعراق مريضة ... فمالكَ لا تَضنى وأنت صديقُ
سقى الله مَرضى بالعراق فإنني ... عليٍ كلِّ مرضى بالعراق شفيق
فإن تَكُ ليلى بالعراق مريضةً ... فإنِّيَ في بحر الحتوف غريق
أهيم بأقطار البلاد وعَرْضها ... وما لي إلى ليلى الغداةَ طريق
كأن فؤادي فيه مُورٍ بقادحٍ ... وفيه لهيبٌ ساطعٌ وبروق(١١٦)
إذا ذكرتها النفسُ ماتت صَبابةً ... لها زفرةٌ قتَّالةٌ وشهيق
سقتني شمسٌ يخجل البدرَ نورُها ... ويكسِف ضوء البرق وهو بَروق
عَرابية الفرعين بَدرية السنا ... ومنظرها بادي الجمال أنيق(١١٧)
وقد صِرتُ مجنوناً من الحب هائماً ... كأنِّيَ عانٍ في القيود وثيق
أظل ذريحَ العقل ما أطعمُ الكرَى ... وللقلبِ مني أنَّةٌ وخُفوق(١١٨)
برى حبها جسمي وقلبي ومهجتي ... فلم يَبقَ الا أعظمٌ وعروق
فلا تعذلوني إن هلكتُ تَرَحَّموا ... عليّ ففقدُ الروح ليس يعوق
وخُطُّوا على قبري إذا مِتُّ واكتبوا ... قتيلُ لِحاظٍ مات وهْوَ عشيق
إلى الله أشكو ما ألاقي منَ الهوى ... بليل ففي قلبي جوىً وحريق

---

(١١٦) مور: متّقد.

(١١٧) عرابية: نسبة إلى قبيلة أو إلى العرب.
الفرعين: أي من جهة الأب والأم أو كناية عن ضفيرتي الشعر.
السنا: الضوء الشديد.

(١١٨) قرأتها في نسخة للديوان «رزيح العقل»، بمعنى ضعيف العقل.
والذراريح جمعها، وهو نوع من السموم والمعنى يكون: مريض العقل مسمماً بالأفكار.

[شبه ليلى]

وقال أيضاً:

أقـول لـظبيٍ مَـرَّ بي وهـو راتـعٌ ... أأنـت أخـو لـيـلى فـقـال يُـقـالُ
أيـا شِبـهَ ليلَى إن ليلى مـريضـةٌ ... وأنـت صـحـيـحٌ إنَّ ذا لـمـحـالُ

وقال أيضاً:

يقولون ليلى بـالعـراق مـريضـةٌ ... فـأقبلتُ من مِصـرٍ إليهـا أعـودُهـا
فـوالله مـا أدري إذا أنـا جئـتهـا ... أأبـرِئُـهـا من دائهـا أم أزيـدُهـا

[لا تتهكموا]

وروي أن رهطاً[119] من بني أسد خرجوا إلى بلاد الشام في بعض تجارتهم فعثروا[120] بالمجنون فقالوا: يا قيس ما منع أبا ليلى أن يتلافى أمرك ويتداركه إلا أن قد صار مشهوراً في الأمصار ذكر ما دار بينكما من الرفث والفسوق، فهلا كففت نفسك عن المعاصي وزجرتها عن القذع والأمور الفظيعة حتى يدوم لك صفاء المودة وغضارة النعمة خالياً عما أنت بصدده؟ فلما سمع مقالتهم بكى بكاءً متوجع وأنشأ يقول:

ألا أيها القوم الذين وَشَوْا بنا ... على غير ما تقوى الإله ولا بِرِّ
ألا ينهكم عنا تُقاكم فتنتهوا ... أم آنتم أناس قد جُبلتم على الكفر
تعالَوْا نقفْ صفين منّا ومنكمُ ... وندعو إلهَ الناس في وضح الفجر
على من يقول الزورَ أو يطلب الخنا ... ومن يقذف الخودَ الحصانَ ولا يدري[121]
حلفتُ بمن صلَّت قريشٌ وجَمَّرت ... له بمنًى يومَ الإفاضة والنحر[122]
وما حَلقوا من رأس كُلِّ ملبٍّ ... صبيحةَ عشرٍ قد مضين من الشهرِ
لقد أصبحتْ مِني حَصاناً بريئةً ... مُطهرةً لَيلَى من الفحش والنُّكر
من الخفِرات البيض لم تدرِ ما الخَنا ... ولم تُلفَ يوماً بعد هجعتها تسري[123]
ولا سمعوا من سائر الناس مثلها ... ولا برزتْ في يوم أضحى ولا فطر

---

(119) جماعة.

(120) وجدوا المجنون.

(121) الخنا: الفحش.
يقذف: يتهم بالزنا.
الخود الحِصان: العذارى الشريفات.

(122) جمرت: أي رمت الجمار.
الإفاضة: الإفاضة من عرفات.
النحر: من شعائر الحج.
كُلِّ ملبٍّ: في رواية الوالبي كسر في وزن البيت.

(123) الفحش: الفحش والزنا.
تسري: أي تسلل ليلاً لتلقى عشيقها.

بَـرَهرهـةٌ كالشمس في يـوم صحـوهـا ... منعَّمـةٌ لم تخطُ شبراً من الخـدر(١٢٤)
هي البـدر حُسنـاً والنسـاء كـواكبٌ ... فشتَّـان مـا بين الـكـواكب والـبـدر
يقـولـون مجنـونٌ يهيم بـذكـرهـا ... ووالله مـا بي من جنـون ولا سحـر
إذا ما قرضتُ الشعرَ في غير ذكرهـا ... أبَـى وأبيـكم أن يـطاوعـني شـعـري
فـلا نعمتْ بعـدي ولا عشتُ بعـدهـا ... ودامت لنـا الـدنيـا إلى ملتقى الحشـر
عليهـا سـلام الله مـن ذي صبـابـةٍ ... وصبٍّ مُعنًّى بـالـوسـاوس والـفكـر
ليـاليَ أعـطيتُ البـطالـةَ مِقـودي ... تـمـر الليـالـي والسِّـنـون ولا أدري
مـضى لـي زمـانٌ لـو أُخيَّـرُ بيـنـه ... وبين حيـاتي خـالـداً أبـد الـدهـر
لـقـلتُ ذروني سـاعـةً وكـلامَـهـا ... على غفلةِ الـواشين ثم اقطعـوا عمري

(١٢٤) برهرهة: البرهرهة المرأة البيضاء الشابة الناعمة الملمس.
الخدر: الخيمة.

[يا عقاب الوكر]

ثم جعل يدور هائماً قد اشتد وسواسه وجنونه إذ مر بعقاب ساقط على وكره، فدنا منه وأنشأ يقول:

ألا يـا عُقـابَ الـوكـر وكـر ضـريَّةٍ سقيتِ الغوادي من عقابٍ على وكرِ
أبيني لنـا لا زال ريشـكِ نـاعمـاً ولا زلت في صيـد مُخضَّبة الـظفـر
أبيني لنـا قد طـال مـا قـد تـركْتِنا بعميـاءَ لا ندري أنُصبح أم نَسري
وقفتُ على مَـرَّانَ أنشـدُ نـاقـتي وما هلكتْ لي من قلوصٍ ولا بكر[125]
ومـا أنشُـدُ البعـرانَ إلا صبـابـةً بواضحة الخدين طيبة النشر[126]
مفلَّجـةِ الأنيـاب لـو أن ريقـهـا يداوَى بـه الموتى لقاموا من القبر[127]
إذا ذُكـرتْ ليلى أُسَـرُّ بـذكـرهـا كما انتفَضَ العصفورُ من بلل القطر
فقـال جميـعُ النـاس لمَّـا نشـدتهـا بَلَى، وفـريقٌ قال والله ومـا نـدري
تـداويتُ من ليلى بليلى عن الهوى كما يتداوى شـاربُ الخمر بـالخمر
ألا زعـمتْ لـيلى بـأنْ لا أحـبُّهـا بلى وليـالي العشر والشفـع والوتـر
بلى والـذي لا يعلم الغيبَ غيـرُه بقـدرته تجـري السفائنُ في البحـر
بلى والـذي نادى من الـطور عبدَه وعـظَّم أيـامَ الـذبيحـة والنحـر
لقد فُضِّلتْ ليلى على الناس مثل ما على ألف شهـرٍ فُضِّلتْ ليلة القـدر

---

(١٢٥) مرَّان: جبل.
قلوص: ناقة، بكر، من الإبل.
(١٢٦) البعران: البعير يشمل الجمل والناقة.
صبابة: غراماً بصاحبتها.
النشر: الرائحة الزكية.
(١٢٧) مفلجة الأنياب: متباعدة ما بين الأسنان وهو من علامات الحسن.

[صبراً]

وقال:

فــوالله مــا أبكي على يــوم مَيتتي ولكنني من وشــكِ بينــكِ أجــزعُ
فصبــراً لأمـر الله إن حــان يَـومنــا فـليس لأمــرٍ حـمَّــهُ الله مَــدفــع

[أبيات ونغمات]

قال علي بن صالح :

حججت مع أبي عيسى بن الرشيد، فبينا نسري ليلاً إذ نحن بأعرابي يترنم بأبيات ما سمعت والله أحسن منها، ونغمات ما كدت أسمع مثلها، وهي :

ألا هـل إلى شَمِّ الخـزامى ونـظرةٍ ... إلى قرقَرى قبلَ الممات سبيلُ(١٢٨)
فـأشرب من مـاءِ الحجيلاءِ شـربة ... يُداوَى بها قبل الممات عليـلُ(١٢٩)
فيـا أُثلاتِ القـاع قـد مـلَّ صحبتي ... مسيري فهل في ظلكنَّ مَقيـلُ(١٣٠)
ويـا أُثـلاتِ القـاع ظـاهـرُ مـا بـدا ... بجسمي على مـا في الفؤاد دليـلُ
ويـا أُثلاتِ القـاع من بين تُوضحٍ ... حنيني إلى أفيـائكنَّ طـويـلُ(١٣١)
ويـا أُثـلاتِ القـاع قلبي موكـلٌ ... بكنَّ وجـدوَى خيـركـنَّ قـليـلُ
أرُومُ انحـداراً نحـوهـا فيـرُدُّني ... ويمنعني دَينٌ عـليّ ثقـيـلُ
أحدِّث عنك النفس إذ لستُ راجعا ... إليـك فحـزني في الفؤاد دخيـلُ

وقال :

أحُجَّـاجَ بيت الله في أي هـودجٍ ... وفي أيِّ خـدرٍ من خدروكُم قلبي
أأبقَى أسيـرَ الحب في أرض غربـةٍ ... وحـاديكمُ يحدو بقلبيَ في الـرَّكب

وقال :

---

(١٢٨) الخزامى : نبت طيب الرائحة، والتبخر به يذهب كل رائحة منتنة، وشربه مصلح للكبد والطحال والدماغ البارد.
قرقرى : اسم موضع.
(١٢٩) ماء الحجيلاء : الماء الذي لاتصيبه الشمس.

ومغتــربٌ بـالمــرج يبكي بشجوه وقد غاب عنه المسعدون على الحب
إذا مـا أتاه الرَّكب من نحو أرضـه تنفَّسَ يستشفي بـرائحـة الـركب

فقال أبو عيسى: عليّ بالرجل، فتفرقت الخيل في طلبه يمنة ويسرة، فما كان إلا هنيهة حتى أُتي برجل ضئيل الجسم ناحل البدن عريان، فقال له: من أنت لأمك الهبل؟ فوالله ما تنهنه أن قال أسرع من مخرج نفسه وارتداد طرفه:

أنا الوامق المشغـوف والله ناصـري ومـنتـقـمـي ممـن يـجـور ويـظلمُ
أنـا الناحـل المهموم والقـائم الذي أراعِـي الثـريـا والخَلِيُّـونَ نُـوَّمُ
أظـلُّ بـحـزنٍ دائـمٍ وتـحـسُّـرٍ وأشــرب كـأسـاً فيـه سمٌّ وعلقمُ
فحتَّـام يـا ليلى فؤادي معـذَّبٌ بـرُوحي تقضي مـا تُحب وتحكم
لعمـري مـا لاقى جميـلُ بن معمـر كـوجـدي بليلى لا ولم يلقَ مُسلم
ولم يلقَ قـابـوس وقيسٌ وعـروة ولم يلقـه قـبلي فـصيـحٌ وأعـجمُ
صبـا يوسف واستشعـر الحبَّ قلبُه ولا كـاد داودٌ مـن الحـب يَسلـمُ
وبِشـرٌ وهنـد ثـم سعـدٌ ووامـق وتوبـةُ أضـنـاه الهـوى الـمتـقسَّـمُ
وهاروتُ لاقى من جَوى الحب سطوةً ومــاروتُ فـاجـاه البلاءُ المصَمَّمُ
ولم يخلُ منه المصطفى سيدُ الورى أبـو القـاسم الـزاكي النبيُّ المـكرمُ
أبِيت صريعَ الحب أبكي من الهوى ودمعي على خـدي يفيض ويسجُمُ
ولـولا طُـروق الليـل أودَت بنفسـه منعمةُ اللحظين تُبري وتُسقمُ(١٣٢)
إذا هي زادت في النوى زاد في الهوى فـلا قـلبه يسـلو ولا هـي تـرحـمُ
أعـارتـه أنفـاسَ الصبـا بـك صبـوة لهـا بين جنبيـه سَعيـرٌ مـضـرَّمُ
ألا إن دمـع الصبِّ عمَّـا يُجِنُّـهُ وإن لم يَفُـهْ يـومـاً بـه مُتكـلمُ
لسـاني عَييٌّ في الهوى وهـو ناطقٌ ودمعي فصيحٌ في الهوى وهو أعجمُ
وكيف يُـطيق الصبُّ كتمـانَ سـرِّه وهـل يكتم الوجـدَ امرؤٌ وهـو مُغرم
عُـذَيرِيَ مِن طيفٍ أتى بعـد مُوهِنٍ بـرامـةَ حِـزوى عَـرفُـهُ يتقـدَّمُ(١٣٣)
تَنفَّسَ روضٌ جـادَه مـاءُ مـزنـةٍ وأطـرافـه تبكي النـدَى ثم تَبسَمُ

---

(١٣٢) الطروق: الزيارة ليلاً، وهي على وزن فعول ـ ومنها الطارق: على وزن فاعل، وفعلها (طرق).
(١٣٣) موهن: منتصف الليل، عرفه: رائحته الطيبة.
رامة حزوى: اسم موضع.

[أبو عيسى يقول:]

قال له أبو عيسى: أما تحن إلى أكناف الحمى ويرتاح قلبك إلى أقطار نجد وبلاد ليلى؟ فزفر زفرة ثم رن بعدها وقال:

تَعَزَّ بصبرٍ لا وجَدِّكَ لا ترَى ... بشام الحمى إحدى الليالي الغوائر(١٣٤)
كأن فؤادي من تذكره الحِمَى ... وأهل الحمى يهفو به ريشُ طائر

قال علي: فوالله لقد أبكانا جميعاً، ثم أمر له أبو عيسى بأثواب شريفة ودراهم كثيرة، فقلنا أيد الله الأمير إنه لمجنون ما يلبس ثوباً إلا قدَّه ورماه، فعد عنه إلى ما سواه، وسله أن ينشدك بعض أشعاره. فقلنا له: هل لك أن تروي لمولانا الأمير شيئاً من شعرك؟ فطفق يبكي ويقول:

وإني وإن لم آت ليلى وأهلها ... لباكٍ بُكا طفلٍ عليه التمائمُ
بُكاً ليس بالنزر القليِّل دائماً ... كما الهجر من ليلى على الدهر دائم
هجرتُك أياماً بذي الغمر إنني ... على هجر أيام بذي الغمر نادم
فلما مضتْ أيام ذي الغمر وارتمى ... بيَ الهجرُ لامتني عليك اللوائم
وإني وذاك الهجر ما تعلمينه ... كعازبةٍ عن طفلها وهي رائم(١٣٥)
ألم تعلمي أني أهيم بذكرها ... على حين لا يبقى على الوصل هائم
أظل أمني النفسَ إياك خالياً ... كما يتمنى باردَ الماء صائم

---

(١٣٤) الليالي الغوائر: الليالي السالفة.

(١٣٥) عازبة: بعيدة.

رائم: من رام.

[أيها القلب]

وقال:

ألا أيهـا القلب اللّجـوج المعـذّل ... أفِقْ عنِ طلاب البيض إن كنتَ تعقلُ (١٣٦)
أفقْ قـد أفـاق الـوامقـون وإنمـا ... تمـاديـكَ في ليلى ضـلالٌ مضلِّلُ
سلا كلُّ ذي ودٍّ عن الحب وارْعـوَى ... وَأنـتَ بليـلى مُستـهـامٌ مُـوكَّـلُ
فقـال فؤادي: ما اجتـررتُ مـلامـةً ... إليـكَ ولكن أنتَ بـاللوم تَعجـلُ
فعينـك لُمْهـا إنَّ عينـك حمّلتْ ... فؤادَكَ مـا يعيـا بـه المتحمِّـلُ
لحى الله من بـاع الخليـلَ بغيـره ... فقلتُ نعم حـاشاك إن كنتَ تفعـلُ
وقلت لهـا بـالله يـا ليـلُ إننـي ... أبـرّ وأوفى بـالعـهـود وأوْصـلُ
هَبي أنـني أذنبتُ ذنبـا علمتِـهِ ... ولا ذنب لي يا ليلُ فالصفح أجمـلُ
فـإن شئتِ هاتي نـازعيني خصومـةً ... وإن شئت قتـلا إن حكمـك أعـدلُ
نهـاري نهـارٌ طـال حتى مللتُـه ... وليلِي إذا مـا جنّني الليـلُ أطـولُ
وكنت كـذئب السـوءِ إذ قـال مـرةً ... لبهم رعت والذئبُ غرثانُ مُرملُ (١٣٧)
ألستِ التي من غيـر شيء شتمتني ... فقـالت متى ذا؟ قـال ذا عـام أولُ
فقالت وُلدت العـام بل رُمتَ كـذبةً ... فهـاكَ فكلنـي لا يَهنيـك مـأكـلُ
وكنت كـذبّاح العصـافيـر دائبـاً ... وعينـاه مِن وَجْـدٍ عليهن تُـهمـلُ
فلا تنظري ليلى إلى العين وانظري ... إلى الكف مـاذا بالعصـافيـر تفعـلُ

---

(١٣٦) اللجوج هو المتمادي في خصومته.
المعزّل: المعاتب.
طلاب: طلب.
(١٣٧) ذئب السوء: الذئب اللئيم.
البهم: صغار الماعز والخراف.
غرثان: جائع.
مرمل: جائع، معدم، لا زاد له.

وقال:

أقـول لصاحبي والعيسُ تهـوي ... بنـا بين المُنيفـةِ فـالضِّمـارِ(١٣٨)
تمتـع مِن شميم عــرارِ نـجـدٍ ... فمـا بعد العشيـة من عَرار(١٣٩)
ألا يـا حبـذا نفحـاتُ نجـد ... ورَيَّـا روضـةٍ غِبَّ القــطار(١٤٠)
وأهلُكَ إذ يحــل الحيُّ نجـداً ... وأنتَ على زمانك غيـرُ زار(١٤١)
شهــورٌ ينقضين ومـا شعـرنـا ... بـأنصـافٍ لهنَّ ولا سَــرار(١٤٢)
فـأمـا ليلهـن فخيــرُ ليــلٍ ... وأطــولُ مـا يكــون من النهــار

وقال:

من أجل سار في دجى الليـل لامع ... جفـوت حَذارَ البين لين المضـاجعُ
عــلامَ تخـاف البينَ والبينُ نـافعٌ ... إذا كـان قـربُ الـدار ليس بنـافــعُ
إذا لم تـزل ممن تحب مـروَّعـا ... بغــدرٍ فــإن البين لـيس بـرائــعُ

وقال:

سـأبكي على ما فـات مني صبابـةً ... وأنــدُبُ أيـامَ الســرور الــذواهبِ
وأمنــع عيـني أن تـلذَّ بغيــركـم ... وإني وإن جـانبتِ غيــر مجـانب
وخيــر زمــانٍ كنتُ أرجــو دُنُــوَّه ... رَمتني عيـون الناس من كـل جانب
فـأصبحتُ مرحـوماً وكنت محسَّـداً ... فصبـراً على مكـروهـهــا والعـواقب
ولـم أرهــا إلا ثــلاثــاً على مِـنًى ... وعهـدي بها عـذراء ذات الـذوائب
تبـدَّت لنا كـالشمس تحت غمـامـةٍ ... بدا حاجبٌ منها وضَاحت بحـاجب

---

(١٣٨) العيس: الإبل جمع أعيس.
تهوي: تمضي مسرعة.
المنيفة والضمار: اسمان لموضعين بالجزيرة العربية.
(١٣٩) شميم: شم.
عرار: نبت طيب الريح.
(١٤٠) ريا: اسم جبل ببلاد بني عامر.
غب: الغب في السقيا يوماً بعد يوم.
القطار: هو السحاب الممطر.
(١٤١) زار: عاتب ولائم.
(١٤٢) سرار: أي آخر ليلة من الشهر. والمعنى أنه لا شعر بمرور الأشهر لا في منتصفها ولا آخر لياليها

وقال أيضاً:

أحنُّ إذا رأيتُ جِمالَ قومي ... وأبكي إن سمعت لها حنيناً
سقى الغيثُ المَجيدُ بلادَ قومي ... وإن خلت الديارُ وإن بلينا
على نجدٍ وساكنِ أرض نجدٍ ... تحياتٌ يَرُحنَ ويغتدينا

وقال أيضاً:

بنفسي مَن لا بدَّ لي أن أهاجرُه ... ومَن أنا في الميسور والعُسر ذاكرُهْ
ومَن قد رَماه الناس بي فاتقاهمُ ... بهجري إلاّ ما تُجنُّ ضمائرُه
فمن أجلها ضاقتْ عليَّ برحبها ... بلادي إذ لم أرضَ ممن أجاورُه
ومِن أجلها أحببتُ مَن لا يُحبني ... وباغضتُ من قد كنتُ حِيناً أعاشرُه
أتهجرُ بيتاً للحبيب تعلّقتْ ... به الحبُّ والإعدامُ أم أنتَ زائرُه
وكيف خلاصي من جوى الحب بعدَما ... يُسَرُّ به بطنُ الفؤادِ وظاهرُه
وقد مات قبلي أوَّل الحبِ فانقضَى ... فإن مِتُّ أضحى الحبُّ قد مات آخرُه
وقد كان قلبي في حجابٍ يُكنُّه ... فحبكِ مِن دون الحجاب يباشرُه
أصدُّ حياءً أن يلجَّ بيَ الْهوى ... وفيكِ المنى لولا عدوٌّ أحاذرُه

وقال أيضاً:

يا مَن شُغلتُ بهجره ووِصاله ... هِمَمُ المنى ونسيتُ يوم مَعادي
والله ما التفتَ الجفونُ بنظرةٍ ... إلا وذِكركَ خاطرٌ بفؤادي

وقال أيضاً:

ومفروشةِ الخدَّين وَرداً مضرَّجا ... إذا جمَّشَتْهُ العينُ عادَ بنفسجا(١٤٣)
شكوتُ إليها طول ليلي بعبرةٍ ... فأبدت لنا بالغنْج دُرّا مُفلجا(١٤٤)
فقلت لها مُنّي عليّ بقبلةٍ ... أداوي بها قلبي فقالت تَغَنَّجا

---

(١٤٣) مضرجاً: ملطخاً بالدم ـ والمعنى هنا احمر اللون.
جمَّشته العين: غازلته.

(١٤٤) الغنج: من تدلل النساء المثير.
وابتسامهن دراً: يقصد الأسنان.
مفلجاً: بين اسنانه مسافات وهو من علامات الجمال.

بُليتُ بـردفٍ لستُ أسـطيعُ حـمله   يجـاذب أعضائي إذا مـا تَـرَجـرَجـا

وقال أيضاً:

فؤادي بين أضـلاعي غـريبُ   ينـادي مَن يحبُّ فـلا يـجيب
أحـاطَ بـه البـلاءُ فكـلَّ يـوم   تقـارعـه الصبـابـة والنحيـب
لقـد جلب البـلاءَ عليّ قـلبي   فقلبي مـذ علمتُ لـه جَلوب
وإنْ تكنِ القلوبُ كـمثـلِ قـلبي   فـلا كـانـتْ إذاً تلك الـقلوبُ

وقال أيضاً:

ومستوحشٌ لم يُمس في دار غربةٍ   ولـكنـه مـمن يـودُّ غـريـب

وقال أيضاً:

بيضـاءَ بـاكـرهـا النعيم كـأنهـا   قمـرٌ تـوَسَّط جنـحَ ليـلٍ أسـود
مـوسـومـة بـالحسن ذات حـواسـد   إن الـحسـان مـظنـة لـلحسَّـدِ
وتـرى مـدامعهـا تـرقـرق مُقلةً   سوداء ترغب عن سوادِ الإثمد(١٤٥)
خَـوْدٌ إذا كثـر الكـلامُ تـعـوَّذت   بحمى الحياءِ وإن تكلَّمْ تُقصدِ(١٤٦)

وقال أيضاً:

أحـنُّ إلـى نـجـدٍ وإنـي لآيسٌ   طـوالَ الليالي من قفـولٍ إلى نجد
وإن يكُ لا ليلى ولا نجدُ فـاعترفْ   بهجـرٍ إلى يـوم القيـامـة والـوعـد

وقال أيضاً:

ألا إنـمـا أفنـى دمـوعي وشـفَّني   خـروجي وتـركِي مَن أحب وَرائيـا
ومـا ليَ لا يستنفـدُ الشـوق عبـرتي   إذا كنتُ مِـن دارِ الأحبـةِ نـائيـا
إذا لم أجِـدْ عـذراً لنفسي ولمتُهـا   حملتُ على الأقدار ما كـان جاريـا

---

(١٤٥) ترقرق: تناسل.
الأثمد: الكحل.
(١٤٦) خود: حسنة الخلق رقيقته.
تكلم: تتكلم.
تقصد: تقتصد في الكلام.

قال: فرغ من إنشاد هذه الأشعار ظهر له غزالان في أصل جبل، فتبعهما حتى وقف بحذائهما وجعل ينظر إليهما ويبكي ويقول:

أيا جبلَ الثلج الذي في ظلاله ... غزالان مكحولان مؤتلفانِ
غزالان شَبَّا في نعيم وغبطةٍ ... ورَغدةِ عيشٍ ناعمٍ عَطِران
أرَغتهما ختلاً فلم أستطعهما ... ففرّا وشيكاً بعد ما قتلاني
خليليَّ أمّا أمُّ عمرٍو فمنهما ... وأما عن الأخرى فلا تسلاني
فما صاديات جِمنَ يوماً وليلة ... على الماء دون الوِردِ هُنَّ حوان(١٤٧)
يرَيْنَ حَبابَ الماءِ والموتُ دُونه ... وهنَّ لأصواتِ السقاء رَوان(١٤٨)
بأكثرَ مني حسرةً وصبابةً ... إليها ولكن الفراق غراني
خليليَّ إني ميتٌ أم مُكلمٌ ... لليلى بحاجي فامضيا وذراني(١٤٩)
أقِلْ حاجتي وحدي فيا رُبَّ حاجةٍ ... قضيّت على هولٍ وخوفِ مكان
وإنَّ أحقَّ الناس مني تحيةً ... وشوقاً لها مَن لو يشاء شقاني
ومَن قادني للموت حتى إذا صَفتْ ... مشاربه سُمَّ الزُّعافِ سقاني

وقال أيضاً:

أحبك حباً لو تحبين مثله ... أصابك مِن وجدٍ عليّ جنون
وصرتُ بقلبٍ عاش أما نهارُه ... فحزنٌ وأما ليله فأنين

● ثم نهض من الواديين ومر على وجهه يدور في الصحراء فمر برجلين قد قنصا ظبياً وربطاه، فدنا منهما المجنون وتأمله ساعة ثم قال لهما اختارا شاةً من غنمي مكانه وخلياه، فأبيا عليه، فلم يزل بهما حتى أعطاهما أربع شياه من غنمه مكانه، ثم خلياه، فأنشأ يقول:

---

(١٤٧) صاديات: عطشى، جمن: استرحن وذهب إعياؤهن.
الورد: إتيان الماء.
حوان: جمع حائنة أي هالكة.
(١٤٨) حباب الماء: بالفتح أي معظم الماء وقيل نفاخاته التي تعلوه [راجع مختار الصحاح].
روان: من رنا إلى الشيء إذا أدام النظر إليه.
السقاء: صوت انسكاب الماء من القربة.
(١٤٩) ذراني: اتركاني.

شـريتُ بشاتي شبهَ ليلى ولـو أبـوا
لأعـطيتُ من مالي طريفي وتالـدِي
فلو كنتمـا حُـرَّين مـا بعتمـا معـاً
شبيهــاً لليـلى بيعــةَ المتــزايــد
وأعتقتمـاهــا رغبــةً في ثــوابهــا
ولم تـرغبـا في نـاقصٍ غيـرِ زائـد

وقال أيضاً:

يـا صاحبيَّ اللذين اليـوم قد أخـذا
في الحبـلِ شبهاً لليلى ثم غـلاّهـا
إني أرى اليومَ في أعطاف حبلكمـا
مشــابهــا أشبهتْ ليلى فحُــلاّهــا
وأرشِــداهـا إلى خضــراءَ معشبــة
يــومــاً وإن طلبتْ إلفـاً فــدُلاّهــا
وأورِداهــا غِـديـراً لا عــدِمتكمـا
من مـاء مُزنٍ قـريبٍ عند مـرعـاهـا

● ثم أنه مر ببني عمه، وكانوا معادين له يسخرون منه ويهزؤون به ويقولون كيف ليلى وكيف حبك لها؟ فإذا ذكرت ليلى لـه رجع إليـه عقله فيجلس إليهم يحدثهم وينشدهم ما قال فيها من الشعر. فيقولون والله ما به من جنون وإنه لعاقل، فإذا سمع منهم هذه المقالة خنقته العبرة(١٥٠) وأنشأ يقول:

أيـا ويـح مـن أمسى يُخَلَّسُ عقلـه
فـأصبح مـذهـوبـاً بـه كُـلَّ مـذهب
خـليعــاً مـن الـخـلان إلا معــذَّبــاً
يضــاحكني مَن كــان يهـوى تجنُّبي
إذا ذُكــرت لـيلى عـقـلتُ وراجـعـتْ
روائــعُ قـلبي مِـن هــوًى مـتـشـعب
وقــالـوا صحيـحٌ مـا بـه طيف جنـةٍ
ولا الـهـمُّ إلا بــافـتــراء الـتـكــذُّب
ولي سقــطاتٌ حين أغفـل ذكـرَهــا
يـغــوصُ عليهــا مَـن أراد تَـعَـقُّبي
وشـاهـدُ وَجــدي دمـعُ عيني وحبهــا
برَى اللحمَ عن أحناءِ عـظمي ومنكبي
تـجنبتُ لـيلى أن يـلجَّ بِـي الـهـوَى
وهيهــات كــان الحب قبـلِ التجنب
فمــا مغــزَلٌ أدمــاءُ بــات غــزالهــا
بـأسفـلِ نُهْيٍ ذي عِـرارٍ وخُلَّبٍ(١٥١)
بــأحـسـنَ مـن لـيـلى ولا أمُّ فــرقــد
غضيضةُ طرفٍ رعيُها وسطَ رَبربِ(١٥٢)

(١٥٠) الدموع.
(١٥١) مغزل: أم الغزال.
أدماء: المائلة إلى البياض.
نُهي: غدير به ماء.
عرار: نبت طيب الريح.
خلب: السحاب الخادع الذي لا ماء فيه.
(١٥٢) أم فرقد: الفرقد هو ولد البقرة.

نظرتُ خلال الركب في رونق الضحى ... بعينَيْ قَطاميٍّ نما فوق عُرقب[١٥٣]
إلى ظُعنٍ تُحدَى كأنّ زهاءها ... نواعِمُ أثلٍ أو سُقياتُ أثلبِ[١٥٤]
ولم أر ليلى غير مَوقفِ ساعةٍ ... ببطنِ منى ترمي جمارَ المحصَّب[١٥٥]
فأصبحتُ مِن ليلى الغداةَ كناظرٍ ... مع الصبح في أعقاب نَجم مغرَّب
ألا إنما غادَرتِ يا أمَّ مالكٍ ... صدًى أينما تذهبْ به الريحُ يَذهب
حلفتُ بمن أرسى ثبيراً مكانه ... عليه ضبابٌ مثلُ رأس المعَصَّب[١٥٦]
وما يسلُك الموْماةُ من كل نقصة ... طليحٌ كجفن السيف تهدَى لِمَركب[١٥٧]
خوارج من نعمانَ أو من سُفوحه ... إلى البيت.أو يَطلعْن من نجد كبكب[١٥٨]
له حظُّهُ الأوفى إذا كان غائبا ... وإن جاء يبغي نَيلنا لم يؤنَّب
لقد عشتُ من ليلى زماناً أُحبها ... أرى الموت منها في مجيئي ومذهبي
ولما رأت أن التفرق فلتةٌ ... وأنّا متى ما نفترق نتشعب
أشارت بموشوم كأن بَنانَه ... من اللين هُدَّابُ الدمقس المهذَّب[١٥٩]

= غضيضة الطرف: تغضه حياءً.
ربرب: قطيع من بقر الوحش.
(١٥٣) قطامي: الصقر طائر من الكواسر يشبه النسر.
عرقب: الطريق الضيق.
(١٥٤) زهاءها: شبهها.
الأثل: شجر، واحدته (أثلة).
الأثلب: بالفتح والكسر هو التراب أو الحجارة.
جفن السيف: غمده.
(١٥٥) المحصب هو موضع الجمار بمنى المُشْرِفَةِ.
(١٥٦) ثبير: اسم جبل.
المعصب: الذي لف رأسه بعصابة.
(١٥٧) الموماة: الصحراء.
الطليح: البعير المهزول.
(١٥٨) نعمان: اسم جبل.
كبكب: منكبات.
(١٥٩) الدمقس: نسيج فاخر، كالقز أو الكتان.
هداب: خيط رقيق.
موشوم: عليه وشم وهو يصف هنا يدها.

[أيا جبلي نعمان]

قال عوانة:

خرج منا رجل إلى وادي القرى مع جماعة يمتارون[١٦٠]، فمروا على طريقهم وعثروا بالمجنون، فقالوا يا قيس نراك محباً لليلى؟ فقال نعم، قالوا أفلا تأتي جبلي نعمان؟ قال فأية ريح تهب من أرضها؟ قالوا: الصبا، فأقام بها وأنشأ يقول:

أيـا جـبَلَيْ نـعـمـانَ بـالله خَـلـيِّـا ... سَبيـلَ الصَّبـا يَخلُصْ إليَّ نسيمُهـا

أجدْ بـردَهـا أو يُشْفِ مني حـرارةً ... على كبـدٍ لم يبقَ إلا صميمهـا

فـإنَّ الصبـا ريـحٌ إذا مـا تنسمت ... علىَ نفس محزونٍ تجلتْ همومها

ليـاليَ أهـلونـا بنعمـانَ جيـرةٌ ... وإذْ نحـن نُـرضيهـا بـدارٍ نقيمها

ألا إن أدوائـي بِليـلـىَ قـديمـةٌ ... وأقتَـلُ داءِ العـاشقين قـديمهـا

تذكرتُ وصلَ الناعجيَّاتِ بالضحى ... ولـذةَ عيشٍ قـدْ تـولَّى نعيمهـا

وأنتِ التي هيجتِ عيني بـالبكـا ... فأسجمَ عُرْباها فطالَ سَجومها[١٦١]

وقـد قـذيتْ عيني بليلى وأتبعتْ ... قذاعا وقد يأتي على العين شومها[١٦٢]

خليليَّ قـومـا بـالعصـابةِ فـاعصبا ... على كبدٍ لم يبق إلا رَميمهـا[١٦٣]

وقال:

---

(١٦٠) يمتارون: يطلبون طعاما.

(١٦١) أسجم: أسال دمعها.
عُرباها: ماؤها الجاري.
سجومها: انسكاب دمعها.

(١٦٢) قذيت عيني: سقط فيها ما ليس منها.
القذى: ما يسقط في العين.
شومها: شؤمها وضدها يمنها أي ضررها وأذاها.

(١٦٣) العصابة: بكسر العين القطعة من القماش تلف على الجرح.
رميمها: الأجزاء المتبقية منها.

خليلَي مُـرًّا بي على الأبـرقِ الفـردِ وعهدي بليلى حبذا ذاك من عهدِ[١٦٤]
ألا يـا صبا نجـدٍ متى هجتِ مِن نجد فقـد زادني مَسْراكِ وَجـداً على وجدي
إذا هتفتْ ورَقـاءُ في رونـق الضـحى على فننٍ غضٍّ النباتِ من الرَّنـد[١٦٥]
بكيتُ كمـا يبكي الـوليـد ولـم أزلْ جليـداً وأبـديتُ الـذي لم أكن أُبـدي
وأصبحتُ قـد قضَّيتُ كـلَّ لـبـانـةٍ تِهـاميَّـةٍ واشتـاق قلبي إلى نجـد[١٦٦]
إذا وعـدتْ زاد الهـوى لانتـظارهـا وإن بخلتْ بـالوعـدِ متُّ على الـوعـد
وإنْ قـربتْ داراً بـكـيـتُ وإن نـأتْ كلفتُ فـلا للقـرب أسلو ولا البعـد
أحـنُّ إلى نـجـدٍ وطـيـب تـرابـه وأرواحه إن كان نجدٌ على العهد[١٦٧]
ألا حـبـذا نـجـد وطـيـب تـرابـه وأرواحــه إن كـان نجـد على العهـد
وقـد زعمـوا أن الـمحـبَّ إذا دنـا يُمـلُّ وأن النـأي يَشفي من الـوجـد
بكـلٍّ تـداوينـا فلم يشف مـا بنـا على أن قـربَ الـدار خيـرٌ من البعد
على أنّ قـرب الـدار ليس بنـافـع إذا كـان مـن تهـواه لـيس بـذي ود

---

(١٦٤) الأبرق: كثيب به حجارة، ورمل وطين مختلطة، الفرد: الوحيد.

(١٦٥) ورقاء: حمامة.

الرَّند: نبت طيب الرائحة ينمو في البادية العربية.

(١٦٦) لبانة: حاجة.

تهامية: نسبة إلى تهامة العربية.

(١٦٧) في نسخة أخرى من ديوان المجنون، وجدت البيت على هذا النحو:

أحـن إلى نـجـدٍ فيـا لـيـت أنـنـي سقيت على سلوانـهِ من هـوى نـجـدِ

[الشوق]

ثم مضى على وجهه واشتد به الشوق فكان لا يلبس قميصاً إلا خرقه، ولا درعاً إلا مزقه. وترك محادثة الناس وصار لا يفقه شيئاً، قد اختلس لبه واختطفه الأحزان والكرب، وخامره الجنون وعلاه الأمر الفظيع، فإذا ذكرت له ليلى آب إليه عقله وأفاق من غشيته وتجلت عنه غمرته، فإذا قطع ذكرها عاد إلى وسواسه وسوء حاله، يأنس بالوحش ويستريح إليه، ويتنسم الريح من تلقاء نجد.

[أيا هجر ليلى]

قال الوالبي: ثم ولي عليهم نوفل بن مساحق، قال: فبينما نوفل في بعض طريقه إذ مر برجل عريان كأصبح ما يكون من الرجال وهو قاعد يلعب بالتراب قد جمع العظام حوله، فدنا منه فقال «والله ما رأيت أعجب من هذا الفتى، يا غلام اطرح عليه ثوباً» فقال له بعض أصحابه أتدري من هذا؟ قال لا، قالوا هذا مجنون بني عامر، قال نوفل: والله لقد كنت أحبه وأحب لقاءه فكيف لي بالدنو منه؟ قيل له إذا ذكرتَ له ليلى فإنه يأنس. فدنا منه نوفل وقال: أيها المشغوف إن ليلى تقرا(١٦٨) عليك السلام. فلما ذكرها رجع إليه عقله وأقبل إليه يحدثه كأصح ما يكون من الرجال وهو يبكي وينكت الأرض بأصبعه ويقول:

أيا هجرَ ليلى قد بلغتَ بِي المدى ... وزدتَ على ما لم يكن بلغ الهجرُ
عجبتُ لسعي الدهر بيني وبينها ... فلما انقضى ما بيننا سكنَ الدهرُ
فيا حبها زِدني جوًى كلَّ ليلة ... ويا سلوةَ الأيام موعدك الحشرُ
تكاد يدِي تندَى إذا ما لمستُها ... وينبت في أطرافها الورق النضرُ
ووجه له ديباجةٌ قرشيةٌ ... به تُكشف البلوى ويُستنزل القطرُ
ويهتز من تحت الثياب قَوامها ... كما اهتز غصن البان والفنن الخضرُ
فيا حبذا الأحياءُ ما دمت فيهمُ ... ويا حبذا الأموات إن ضمك القبرُ
وإني لتعروني لذكراكِ نفضةٌ ... كما انتفض العصفور بلله القطرُ
عسى إن حججنا واعتمرنا وحُرِّمت ... زيارةُ ليلى أن يكون لنا الأجرُ
فما هو إلا أن أراها فُجاءةً ... فأُبهتُ لا عُرفٌ لدَيَّ ولا نكرُ
فلو أن ما بي بالحصا فلق الحصا ... وبالصخرة الصماء لأنْصدَعَ الصخرُ
ولو أن ما بي بالوحوش لما رعتْ ... ولا ساغَها الماءُ النميرُ ولا الزهرُ(١٦٩)

---

(١٦٨) أي تقرئك السلام أو تقرأ عليك السلام.

(١٦٩) ساغها: حلا لها، وطاب.

النمير: الماء النقي، الصافي.

ولـو أن ما بي بـالبحـار لمـا جـرى ... بـأمـواجهـا بحـرٌ إذا زجـر البحـر

قال له نوفل:

الحب صيَّرك إلى ما أرى؟ قال: اللهم نعم وسيبلغ بي أكثر مما ترى، واندفع ينشد:

أيـا حـدجـاتِ الحي حين تـحمـلوا ... بـذي سَلمٍ لا جـادكنَّ ربيـعُ(١٧٠)
وخيمـاتـكِ الـلاتي بمنعـرج اللوَى ... بُـلينَ بِـلىً مـا إنْ لـهـنَّ رُجـوع
إلى الله أشكـو نيـةً شقَّـت العـصـا ... هي اليـوم شتى وهـي أمسُ جميـع
فلو لم يَهِجني الـطاعنون لهـاجني ... نـوائـحُ ورقٌ فـي الـديـار وُقـوع
تـداعين فـاستبكين مَن كـان ذا هـوًى ... نـوائـحُ لا تـجـري لـهـن دمـوع
لعمـريَ إني يـوم جـرعـاءَ مـالـكٍ ... لعاصٍ لأمرِ العـاذلين مطيـع(١٧١)
ومـا كـاد قلبي بعـد أيـام جـاوزتْ ... إلـيّ بـأجـوازِ البَـدِيِّ يُـريـع(١٧٢)
وإنّ انهمـال الـدمـع يـا ليـلُ كلما ... ذكـرتـكِ يـومـاً خـالياً لَسَـريـع
نـدمتُ على مـا كـان مني نـدامـةً ... كـمـا نـدم المـغبـونُ حين يـبيـع
لَعمـرك مـا شيءٌ سمعتُ بـذكـره ... كـبينـك يـأتي بـغـتـةً فـيـروع
عـدِمتـكِ من نفسٍ شعـاع فـإنـني ... نهيتـكِ عن هـذا وأنتِ جميـع(١٧٣)
فقـرَّبتِ لي غيـر القـريب وأشـرفتْ ... هـنـاك ثـنـايـا مـا لـهـنَّ طـلوع
يضعِّفـني حبِّـك حتى كـأنـني ... من الأهـل والمـال التليـد نـزيـع
وحتى دعـاني النـاسُ أحمقَ مـائقـا ... وقـالـوا تـبـوعٌ لـلضـلال مـطيـع

---

(١٧٠) الحدجات: جمع حدج بالكسر وهو المحفة التي تركبها النساء.
ذي سلم: اسم لموضع.
جادكن: أمطركن.
(١٧١) جرعاء: رملة مستوية لا تنبت شيئا.
لعمري: قسم بمعنى أقسم بعمري.
(١٧٢) أجواز: جمع جوز [illegible]
البدي: [illegible]
[illegible]
(١٧٣) نفس شعاع: نفس قلقة متفرقة.
جميع: أي نفس هادئة مجتمعة العناصر وهي عكس الأولى.

وقال أيضاً:

خليليَّ هـذا الـربـع أعـلمُ آيـةٍ ... فبـالله عُوجـا ساعـةً ثم سَلِّمـا[١٧٤]
ألـم تعـلمـا أني بـذلـتُ مـودتي ... لليلى وأن الحبْل منها تصـرَّما[١٧٥]
سـألتكمـا بـالله لمَّـا قـضيتمـا ... عليّ فقـد وُليتمـا الحكمَ فـاحكمـا
بجـودي على ليلى بـودي وبخلها ... عليّ، سَـلاهـا أيُّنـا كـان أظلمـا
أحـنُّ إليـهـا كـلمـا ذرَّ شـارقٌ ... كحب النصارى قدسَ عيسى ابن مريما
فـوالله ثـم الله إنـي لـصـادقٌ ... لـذكـركِ في قلب أجـلّ وأعـظمـا
كـلامكِ أشهى فـاعلمي لـو أنـالـه ... إلى النفس من بُرْدِ الشراب على الظما
ووالله مـا أحببتُ حبـك فـاعلمي ... لنكـرٍ ولا أحببت حبـك مـأثمـا
لقـد أكثـر اللوّامُ فيـكِ مَـلامتي ... وكـانوا لمـا أبـدوا من اللوم ألـوَمـا
وقـد أرسلتْ ليلى إليّ رسـولهـا ... بـأنِ ائتنـا سـراً إذا الليـلُ أظلمـا
فجئتُ على خـوفٍ وكنتُ معـوذاً ... أحـاذر إيـقـاظـاً عـداةً ونـوَّمـا
فـبتُّ وبـاتـت لم نـهـمّ بـريبـةٍ ... ولم نجتـرح يا صـاحِ والله مَحْرَمـاً
وكيف أعـزي القلب عنهـا تجلداً ... وقـد أورثتْ في القلب داءً مكتَّمـا
فلو أنهـا تـدعـو الحَمـامَ أجـابهـا ... ولـو كلَّمت ميْتـاً إذاً لـتكـلَّمـا
ولـو مسحت بالكف أعمى لأذهبتْ ... عمـاه وشيكـاً ثم عـاد بـلا عمى
منعَّمـةً تسبي الحليـمَ بـوجـهـهـا ... تـزَيَّـن مـنـهـا عـفـةً وتـكـرُّمـا
فـتـلك الـتـي مَـن كـان داءٌ دواؤه ... وهـاروتُ كـلَّ السحـر منهـا تعلمـا

* * *

● فلما أتم هذه الأبيات قال له نوفل: هل لك أن تجيء معي حتى أقدم بلادك وأخطبها لك وأرغبهم في جميع ما يحتاجون إليه؟ قال هل أنت فاعل ذلك؟ قال «نعمَ والله إن خرجت معي لأجهدن ولو غرمت فيك ملكي وما حوته يدي، ثم أمر فأدخل الحمام وأمر الحجام فأخذ شعره، وغير حليته وكساه كسوة فاخرة، فلما خرج نوفل أخرج المجنون معه، فلما كان بالقرب من بلادهم بلغهم ذلك فتلقوه بالسلاح الشاكي» وقالوا

---

(١٧٤) عوجا: فعل أمر من (عاج) بالمكان إذا أقام به.
(١٧٥) تصرم: انقطع الحبل، والحبل: كناية عن الوصل.

«والله لا يدخل المجنون منزلنا أبداً وقد أهدر السلطان دمه» وأقبل عليهم نوفل وأدبر فأبوا إلا المحاربة وتشمروا للمقارعة، فلما رأى نوفل ذلك قال «انصرف فإن الأمر عندهم لصعب» فانصرف المجنون عنه بخيبة، وقد كان أمر له نوفل بقلائص فردها عليه، وقال: ما وفيتَ لي بالعهد ثلاثاً، وأنشأ يقول:

رَددتُ قـلائصَ القـرشي لمـا   رأيـتُ النـقضَ منـه لـلعـهـودِ
وراحـوا مقصـرين وخلَّفـونـي   إلى حـزْنٍ أعـالجـه شـديـد
أحبُّ السبتَ مِـن كلفي بليـلى   كـأنـي يـومَ ذاك من الـيهـود

[توحش المجنون]

وحُدِّثتُ عن أبي عمرو الشيباني[176] قال: كان سبب توحش المجنون أنه كان ذات يوم بقرية فناداه مناد وهو يقول:

كـلانـا يـا أُخَيُّ نحب ليـلى　　بِفيَّ وفيـكَ مِن ليلى التـرابُ
لقـد ختـلتْ فؤادَكَ ثم بـاتتْ　　بقلبي فهـو مـهمـومٌ مـصـاب

قال: فتنفس الصعداء وغشي عليه ساعة، فكان سبب توحشه هذه الأبيات.

---

(١٧٦) عالم اللغة والأدب وراويتها من نحاة الكوفة المشهود لهم بالعلم والثقة والدراية، توفي سنة ٢١٠ هـ، وفي رواية أخرى ٢٠٦ هـ.
وتؤكد الشواهد أن أبا بكر الوالبي راوية ديوان مجنون ليلى أو بمعنى آخر جامعه ومُرتبه سمع أبا عمرو الشيباني ولقيه في نهاية القرن الثاني الهجري أو في أوائل القرن الثالث الهجري. [راجع مقدمة تحقيقنا للديوان].

[حكاية الناس]

قال أبو بكر الوالبي: لما انصرف المجنون عن نوفل بخيبة، وأبى أهلها أن يزوّجوها منه، مرّ على وجهه والصبيان يصيحون «من أراد أن يرى عاشقاً سميناً فلينظر إلى هذا» فأنشأ يقول:

أرى الناس أمّا من تجدَّد وصله　　فغثٌّ وأما من خلا فسمينُ
تخبِّرني لأحلام أني أراكمُ　　فيا ليتَ أحلام المنام يقينُ
شهدتْ بأني لم أخنكِ مودةً　　وأني بكم حتى الممات ضنينُ
وأن فؤادي لا يلين إلى هوًى　　سواكِ وإن قالوا بَلَى سَيلينُ

وقال أيضاً:

أنْفسُ العاشقين للشوق مَرضى　　وبلاءُ المحب لا يَتقضَّى
عبراتُ المحب كيف تراها　　بعضها يَستحثُّ في الخد بعضا
ليس يخلو أخو الهوى أن تراه　　كلَّ يومٍ يُلام أو يَترضَّى
باكياً ساهماً نحيلاً ذليلاً　　ليس يهدا وليس يطعم غمضا

وقال أيضاً:

ألا ليتنا كنا غزالين نرتعي　　رياضاً من الحوزان في بلدٍ قفرِ
ألا ليتنا كنا حمامي مفازةٍ　　نطير ونأوي بالعِشيِّ إلى وكر
ألا ليتنا حوتان في البحر نرتمي　　إذا نحن أمسينا نَلجَّجُ في البحر
ويا ليتنا نحيا جميعاً وليتنا　　نصير إذا متنا ضجيعين في قبر
ضجيعين في قبرٍ عن الناس معزلٍ　　ونُقْرَن يوم البعث والحشر والنشر

أراعِي الفـرقـدين مــع الثـريــا ... كذاك الحب أهونـه شديـدُ[١٧٨]
علقتُ مـليحــةَ الـخــدين وَرداً ... تشبُّه حسنَ مطلعها السعودُ[١٧٩]
أهيم بــذكـرهــا وأظــل صَبّــاً ... وعيني بــالـدمــوع لهـا تجــودُ
ألا يا ليت لحــدَكِ كان لحــدي ... إذا ضمتْ جنــائـزنــا اللحــودُ

قال: فبينما هو ذات يوم يدور إذ أبصر سرباً من الظباء، فأنشأ يقول:

أأتــرك ليلى ليس بيني وبينـهــا ... ســوى لـيلةٍ إنـي إذاً لـصـبــورُ
هَبـوني امـرأً منكم أضـل بعيرَه ... لــه ذمّــةٌ إن الــذمــام كـبيــر
ولِلصاحب المتروك أعظمُ حرمةٍ ... على صاحبٍ مِن أن يضلَّ بعيـر
عفـا الله عن ليلى الغداةَ فـإنهـا ... إذا وليتْ حكمــاً عـليّ تجــور
فما أكثرَ الأخبارَ أنْ قد تـزوّجت ... فهــل يأتيني بــالــطلاق بشيــر

---

(١٧٨) أراعي: انظر وأراقب.
الفرقدان: نجمان قريبان من القطب.
الثريا: النجوم.
(١٧٩) علقت: أحببت.

[وتذكر ليلى]

وقيل: خرج الملوح أبو المجنون في عدة من عشيرته ومعه المجنون وذلك قبل أن يفشو أمره، فمر بواد يقال له «البلاكث» فبينما هم في سيرهم إذ قال المجنون لفتى منهم كان يأنس به ويفشي سره إليه «ويحك إني ذكرت ليلى ولا بد والله من الانصراف فإن نفسي تكاد تهلك شوقاً إليها» فناشده، فأبى، فقال «استأذن أباك» فقال «إذاً لا يأذن لي ولكن أنا منصرف وحدي» قال «وأنا معك ولكني أعلم أخي» فأعلمه فقال «وأنا معكما». فتخلفوا كأنهم يقضون حاجة ثم عبروا وحولوا رؤوس إبلهم. وقال:

بينمــا نحن بــالبــلاكثِ بــالقــا ... ع ســراعا والعيسُ تهـوِي هُويّـا
خطرتْ خطرةٌ على القلبِ من ذكـ ... ـراكِ وَهنـاً فما استـطعتُ مضيّـا
قلتُ لبَّيـكِ إذ دعاني لـكِ الشو ... قُ ولــلحــاديـيــن كــرُّ المـطيّـا

قال الوالبي: فلما طار به الوجد(١٨٠) ولم يقدر على النظر، خرج متنكراً يريد حي ليلى، فلما انتهى إلى قرب الحي بقي محيراً لم يدر كيف يحتال ويصنع في دخول الحي عسى أن ينظر إليها نظرة، فبينما هو كذلك إذ رأى عجوزاً معها سائل في عنقه سلسلة تدور به على الأبواب، فقال يا عجوز ما تريدين من هذا السائل؟ قالت «نصف ما يأخذ» قال «ضعي هذه السلسلة على عنقي وخذي ما عليّ من الثياب» فوضعتها على عنقه وأقبلت تدور به على الأبواب والصبيان يرمونه بالحجارة ويصيحون بالكلاب عليه، فلما صار قريباً من خباء ليلى أنشد يقول:

هنيئاً مَريئاً مـا أخـذتِ وليتني ... أراهـا وأعـطي كـل يـوم ثيـابيـا
ويـا ليتهـا تـدري بـأنّي خليلهـا ... وأني أنـا البـاكي عليهـا بُكـائيـا
خليليّ لـو أبصرتمــانـي وأهلهَـا ... لديّ حضورٌ خِلتماني سوائيا(١٨١)
ولما دخلتُ الحيَّ خلفتُ مُوقِدي ... بـسلسـلةٍ أسعـى أجــرُّ ردائـيـا

---

(١٨٠) الحب الشديد.

(١٨١) سوائي: أي شخص آخر سواء من فرط تغير حالي.

أمِيـلُ بـرأسي سـاعـةً وتقـودني ... عجوزٌ من السُّوَّال تسعى أمـاميا
وقد أحقد الصبيانُ بي وتجمعوا ... عليّ وشـدّوا بالكـلاب ضواريـا
نظرتُ إلى ليلى فلم أملك البكا ... فقلت ارحموا ضعفي وشدةَ ما بيا
فقامت هَيوبـاً والنسا من أجلهـا ... تَمشّين نحوي إذ سمعن بكائيا[١٨٢]
معـذِّبتي لولاكِ مـا كنتُ سـائـلا ... أدور على الأبواب في الناس عاريا
وقـائـلة وارَحـمـــةً لـشـبـابـه ... فقلت أجــل وارحمـةً لشبـابيـا
أصـاحبةَ المسكينِ مـاذا أصابـه ... وما باله يمشي الوَجَى متناهيا[١٨٣]
ومـا بـالـه يبكي فقلتِ لِما بــه ... ألا إنمـا أبكي لهـا لا لمـا بيـا
بني عمٍّ ليلى مَن لكم غير أنني ... مُجيـدٌ لليلى ما حَييتُ القـوافيـا
ودَدتُ على طِيبِ الحياة لو انها ... يـزاد لليلى عمـرُهـا مِن حيـاتيـا
فمـا زادني الواشـون إلا صبابـةً ... ومـا زادني الناهـون إلا أعـاديـا
فيـا أهـلَ ليلى كثَّـرَ الله فيكمُ ... مِن امثالها حتى تَجـودوا بها ليـا
فما مسَّ جنبي الأرضَ حتى ذكرتها ... وإلا وجـدتُ ريحهـا في ثنـائيـا

---

(١٨٢) هيوباً: خائفة وجلة.
النسا: مخففة من النساء صويحباتها.
(١٨٣) يمشي الوجى: يمشي حافي القدمين.

[طبيبان]

فلما فرغ من شعره مر على وجهه عرياناً لا يلوي(١٨٤) على شيء، فمر بطبيبين وهما على قارعة الطريق فدنا منهما وقال: هل فيكما من يداويني؟ قالا: من أنت؟ قال: المجنون المستهام، قالا: ما للعشاق عندنا دواء هو أبلغ من حبيب ضجيع إلى جنبه. فقال:

طبيبـانِ لـو داويتمـاني أجـرْتمـا ... فمـا لكمـا تستغنيـان عن الأجـرِ
فقـالا بحزنٍ: مـا لـكَ اليـومَ حيلة ... فمتْ كمـداً أو عَزِّ نفسـك بالصبـر
وقـالـوا دواء الـحب غـالٍ وداؤه ... رخيص ولا ينبيكَ شيءٌ كمن يدري
فمـا بـرحـا حتى كتبتُ وصيتي ... ونشرت أكفاني وقلتُ احفروا قبري
فمـا خيـرُ عشقٍ ليس يقتـل أهلَه ... كما قتل العشـاقَ في سالفِ الـدهر
ألا حبـذا البيض الأوانس كالـدُّمى ... وإن أكُنَّ يسكـرن الفتى أيمـا سكـر

قال: فما مضى إلا قليل إذ هو بغراب ساقط على شجره ينعق فدنا منه وقال:

ألا يـا غـرابَ البين هيَّجتَ لـوعتي ... فـويحك خبـرني بمـا أنت تصـرخ
أبا البين من ليلى فـإن كنتَ صـادقـاً ... فلا زال عظمٌ مِن جناحك يُفسخ(١٨٥)
ولا زال رامٍ فيـك فـوّق سهمـه ... فلا أنت في عشٍ ولا أنت تُفرخ(١٨٦)
ولا زلتَ عن عـذب الميـاه منفَّـرا ... ووكرك مهدوماً وبيضك يُرضخ(١٨٧)
فإن طرتَ أردَتكَ الحتوف وإن تقعْ ... تَقَيَّض ثعبـانٌ بـوجهـك ينفـخ(١٨٨)

---

(١٨٤) لا يهتم بأي شيء مهما كان.
(١٨٥) يفسخ: ينقطع، وينفصل عنوة.
(١٨٦) فوّق: صوّب نحو الأعلى.
تفرخ: تضع فراخا وهي صغار الطير.
(١٨٧) منفراً: مبعداً.
يرضخ: يداس عليه.
(١٨٨) الحتوف: جمع حتف وهو الموت.
تقيضُ: تهيأ وظهر.

وعانيتَ قبل الموت لحمَكَ مشدَخا على جمرٍ حَرَّ النار يُشوى ويُطبخ
ولا زلتَ في شر العذاب مخلَّدا وريشك منتوف ولحمك يشرخ

وقال:

أقول وقد صاح ابنُ دأبةَ غدوةً ببعد النوَى لا أخطأتك الشبائك(١٨٩)
أفي كل يومٍ رائعي أنت روعةً ببينونةِ الأحباب إلفك فارك(١٩٠)
ولا بضتَ في خضراءَ ما عشتَ بيضة وضاقت برحبيها عليك المسالك
وفارقتَ أم الأفرُخ السوء عن قلًى وناحت على ابنيك الضروسُ المماحك(١٩١)
وأصبحتَ من بين الأحبة هالكاً كما أنا من بين الأحبة هالك

وقال:

أمن أجل غربانٍ تَصايحن غدوةً ببينونة الأحباب دمعك سافحُ
نعم جادت العينان مِني بعبرةٍ كما سُلَّ مِن نظم اللآلي تَطارُح
ألا يا غرابَ البين لا صحتَ بعده وأُمِكنَ من أوداج حلقك ذابح
يَرُوع قلوبَ العاشقين ذوي الهوى إذا أمنوا الشنحاجَ أنك صائح(١٩٢)
وعدّ سواءَ الحبِّ واتركه خاليا وكنْ رجلًا واجمح كما هو جامح

ثم مضى على وجهه، فينما هو يدور إذ مر بأطيار على أشجار يجاوب بعضها بعضا ويهدرن، فدنا منهن وقال:

ألا يا حمامات الحِمَى عُدْنَ عودةً فإني إلى أصواتكن حَنونُ
فعدنَ فلما عُدْنَ عُدن لشقوتي وكدتُ بأسرارٍ لهن أبينُ

---

(١٨٩) ابنُ دأبةَ: كناية عن الغراب.
الشبائك: على وزن فعائل، وهي شباك الصياد.
(١٩٠) رائعي: مفزعي.
بينونة: فراق، هجر، بعد.
فارك: من فرك الثوب أو السنبل إذا افتته.
(١٩١) الأفرخ السوء: صغار الطير الملاعين، عن قلى: عن كراهية وعن بغض.
الضروس: على وزن فعول، وهي صيغة مبالغة أي شديد.
المماحك: المبغض.
(١٩٢) الشنحاج: صوت الغراب.

وعـدن بقَـرقـار الهـديـر كـأنمـا شربنَ مُداماً أو بهنَّ جنونُ(١٩٣)
فلم تـرَعيني مثلهنَّ حمـائمـاً بكينَ فلم تـدمـع لهنَّ عيـونُ
وكنّ حمـامـاتٍ جميعـاً بِعيطل فـأصبحنَ شتى مـا لهن قـرينُ
فأصبحن قد قـرقرن إلا حمـامةً لهـا مثـلُ نـوْح النائحـات رنينُ
تـذكِّرني ليلى على بعـد دارهـا رواجفُ قلب مـات وهو حـزينُ
إذا مـا خـلا للنـوم أرّق عينه نـوائـح ورْق فَـرْشُهنَّ غصـونُ
تـداعين من بعـد البكـاء تـألفـاً فقلّبن أريـاشـاً وهنَّ سـكـونُ
فيـا ليت ليلى بعضَهنَّ وليتنـي أطيـرُ ودهـرِي عنـدهن ركينُ
ألَا إنَّما ليلى عصـا خيـزُرانـةٍ إذا غمـزوهـا بـالأكفِّ تَـلينُ

وقال أيضاً:

أجَـدَّكِ يـا حمـامـاتٍ بـطوقٍ فقـد هيَّجتِ مشغـوفـاً حـزينـا
أغـرّك يـا حمـامـاتٍ طـريقٌ بـأني لا أنـام وتـهـجـعـينـا
وأني قـد بـراني الحبُّ حتى ضـنيتُ ومـا أراك تَغَـيَّـرينـا
أراد الله مَحلك في السُّـلامى إلى مَن بـالحنين تشـوِّقينا(١٩٤)
ولستِ وإن حننتِ أشـدَّ وجـدا ولـكـنـي أسِـرُّ وتُـعـلنـيـنـا
وبي مثل الـذي بلـذٍ غيـرَ أني أحَـلُّ عنِ العقـال وتُعقلينا(١٩٥)
أمـا والله غيـرَ قِلىً وبُـغض أسـدُّ ولم أزلْ جَـزِعـاً حـزينـا
لقـد جُعلتْ دواوينُ الغـواني سِوَى ديوان ليلى مُمحلينا(١٩٦)
فقِدْمَاً كنت أرجى النـاس عندي وأقـدرهم على مـا تـطلبـينـا

---

(١٩٣) قرقار: ترديد الصوت.
والهدير صوت الماء القوي عندما ينزل من شلال أو جدول أو نهر أو غيره. وقد شرحها البعض على أنها صوت الحمام وهذا خطأ بين لأن صوت الحمام يسمى (هديلاً) وليس (هديراً).
والمدام: الخمر أو اسم من أسماء الخمر.
(١٩٤) محلك: المحل الإجداب، ومعناه انقطاع المطر ويباس الأرض.
السلامى: العظام.
(١٩٥) أحل: امتنع واتخلص.
العقال على وزن فعال وهو الأسر.
(١٩٦) ممحلين على وزن مفعلين، أي متروكة مهملة، لا يلتفت إليها.

ألا لا إِتَنْسَيْنَ روعاتِ قلبي وعِصياني عليكِ العاذلينا

وقال أيضاً:

أإن سجعتْ في بطن وادٍ حمامة تجاوِبُ أخرى دمعُ عينكَ دافقُ
كأنكَ لم تسمعْ بكاءَ حمامةٍ بليلٍ ولم يُحزنْك إلفُ مفارقُ
ولم تر مفجوعاً بشيءٍ يحبه سواكَ ولم يعشق كعشقكَ عاشقُ
بلى وأفقْ عن ذكرِ ليلى فإنما أخو الحب مَن ذاق الهوى وهو تائقُ

ثم جلس متفكراً حزيناً ثم هام على وجهه، فبينما هو سائر إذ مر بسرب من قطا يتطاير، فقال:

شكوتُ إلى سرب القطا إذ مررن بي فقلت ومثلي بالبكاء جديرُ
أسربَ القطا هل مِن مُعيرٍ جناحه لعليّ إلى مَن قد هويتُ أطيرُ
وأيُّ قطاةٍ لم تُعرْني جناحَها فعاشتْ بضرٍ والجناح كسيرُ
وإلا فمن هذا يؤدي رسالةً فأشكره إن المحبَّ شكورُ
إلى الله أشكو صبوتي بعد كربتي ونيرانُ شوقي ما بهنَّ فتورُ(١٩٧)
فإني لقاسي القلب إن كنتُ صابراً غداةَ غدٍ فيمن تَسيرُ نسيرُ
فإن لم أمُت غماً وهماً وكربةً يعاودني بعد الزفيرِ زفيرُ
إذا جلسوا في مجلسٍ نذروا دمي فكيف تراها عند ذاك تُجيرُ
ودون دمي هزُّ الرماحِ كأنها تَوَقُّدُ جمرٍ ثاقبٍ وسعيرُ
وزرقٌ مقيلُ الموتِ تحتَ ظباتها ونَيْلٌ وشريانٌ لهن مجيرُ(١٩٨)
إذا غمزت أصحابِهنَّ ترنمت معطّفةً ليستْ بهنَّ كسورُ(١٩٩)
قطعن الحصى والرملَ حتى تفلّقت قلائدُ في أعناقها وظُفورُ
وقالت أخاف الموتَ إن يشحطِ النوَى فيا كبداً مِن خوف ذاكَ تغورُ
سلوا أمَّ عمرو هل ينوِّل عاشقٌ أخو سَقمٍ أم هَلْ يُفكُّ أسيرُ

---

(١٩٧) صبوتي: ميلي وافتناني.
فتور: ضعف، هدوء.
(١٩٨) مقيل: من قال، يقيل، إذا استراح.
الظباة: جمع ظبة وهي حد السيف.
(١٩٩) معطفة: مائلة، أو متمايلة.

ألا قـل لليلى هـل تـراهـا مجيـرتي ... فـإني لهـا فيمـا لـديّ مجيـرُ
أظـلُّ بحـزنٍ إنْ تغنتْ حمـامـةٌ ... من الـوُرْقِ مـطرابُ العشيِّ بكـورُ
بكت حين درَّ الشـوق لي وتـرنَّمت ... فـلا صحـلٌ تُـربي بـه وصَفيـرُ(٢٠٠)
لـهـا رفقـة يـسعـدنهـا فكـأنـمـا ... تعـاطين كـأسـاً بينهـن تـدورُ(٢٠١)
بجـزعٍ من الـوادي فـضـاءٌ مَسيلُه ... وأعـلاه أثـلٌ نـاعـمٌ وسَـديـرُ(٢٠٢)
بـه بقـرٌ لا يبـرح الـدهـرَ سـاكنـا ... وآخـر وحشـيٌّ الـسخـال يـثـورُ

وقال أيضاً:

أَجـدَّ بـأحيـاءِ الجميـعِ بُكـور ... وبـانَ الأخـلَّاءُ الـذينَ تـزورُ
وشق عصا الجيرانِ يـومَ ترحَّلوا ... نوًى بالكليبيات عنكَ تَجورُ(٢٠٣)
براعة مكـروهٍ من البين لم يكن ... لهـا دونَ تكـديـرِ الصفـاء نكيـرُ
محبٌ أتـاهـا أن مـا بين بَيشةٍ ... ونجـرانَ مخضرُّ الجنـاب مَطيـرُ
أيذهب عقلي بعد علمي وإنَّ علا ... عِـذارِيَ مِن بعـدِ المشيبِ قَتيـرُ
ومستجهلي بعـدَ التحلُّمِ نِسـوةٌ ... أشـار بليلى نـحـوهنَّ مشيـرُ
تعوَّدن قتـلَ المسلمين كـأنمـا ... لهنَّ دمـاءُ الـمسلميـنَ طَهـورُ

---

(٢٠٠) صحل صوته: أي بح صوته.

(٢٠١) يسعدنها: عادة جاهلية وهي اجتماع النسوة لمساعدة إحداهن، وعادة ما يكون ذلك في الجنازة بالعديد والبكاء والعويل وهذه العادات تنتشر بالذات في القرى والأحياء الشعبية العربية، وهذا بالطبع لا يتفق بأي حالٍ من الأحوال مع القيم والمبادىء الإسلامية فكما علمنا الإسلام ورسوله ﷺ: ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوة الجاهلية الأولى. والمساعدة تكون في الأفراح أيضاً بتقديم التهاني والمعاونة في الأعمال التي يتطلبها الفرح.
ولا مانع في المساعدة في المآتم بتقديم التعازي وغالباً ما يكون أهل المتوفى في شغلٍ شاغلٍ لذلك يسارع الجيران بتقديم الطعام للمعزين ولأهل المتوفى، وذلك سلوك حميد ما زلنا نجده في قرانا العربية ـ الذي نشجبه ونرفضه العويل وأي نوعٍ من المبالغة في الحزن أو في الفرح فهما وجها الحياة يوم نفرح، ويوم نحزن، ولا شيء يدوم على حالٍ، ودائن تدان كما يقولون.

(٢٠٢) جزع من الوادي: منطقة منه.
أثل: شجرة.
سدير: نبت.

(٢٠٣) الكليبيات: موضع.
تجور: تبتعد.

وقلن تزوّجْ ثم دَعْ ما كان بيننا أجارك من ريبِ الزمان مجيرُ
أردنَ بلائي ما قضين لبانةً فقد غارَ أو كادَ النجومُ تغورُ(٢٠٤)

وقال أيضاً:

شغف الفؤادُ بجارةِ الجنب فظللتُ ذا أسفٍ وذا كرْبِ
يا جارتي أمسيتِ مالكةً روحي وغالبةً على لُبِّي

[أيها الراكب]

وذكر أبو إسحاق بن الهيثم أن رجلاً مر بليلى وهي واقفة على باب خبائها فقالت أين تريد يا عبد الله؟ فقال أريد بني عامر، فزفرت زفرة وقالت:

يا أيها الراكب المزجي مطيَّته ... عرّج لأنبىء عني بعض ما أجدُ
فما رأى الناس من وجدي تضمُّنهم ... إلا ووجدٌ به فوق الذي أجدُ
أهوى رضاه وإني في مودته ... وحبه آخر الأيام أجتهدُ

فلما بلغ المجنون ذلك كتب إليها مع ذلك الرجل:

وأنت التي كلَّفتني دلج السرى ... وجون القطا بالجلهتين «جثومُ»(٢٠٥)
وأنت التي قطَّعت قلبي حرارة ... ورقرقت دمع العين فهو سجومُ
وأنت التي أغضبت قومي كلهم ... بعيد الرضى داني الصدود كظيمُ
وأنت التي أخلفتني ما وعدتني ... وأشمتِّ بي من كان فيك يلومُ
وأبرزتني للناس ثم تركتني ... لهم غرضاً أُرْمَى وأنتِ سليمُ
فلو أن قولاً يَكْلُم الجسم قَدْ بدا ... بجسمي من قول الوشاة كلُومُ

ثم قال: إن المجنون اعتل بعلة فبعثت إليه ليلى تعوده وتقول: إن تهيأتْ زيارتك غدا فعلت. فقال:

تعود مريضاً أسقمته بهجرها ... ولو عادته عاد لا يعرف السقما
لقد أضرمتْ في القلب ناراً من الجوى ... فما تركتْ عظما ولا تركت لحما
وإني على هجرانها وصدودها ... وما حلَّ بي منها أرى حبها حَتما
خليليَّ كفَّا لا تلوما متيماً ... ولا تقتلا صَبّاً بلومِكُما ظلما

---

(٢٠٥) دلج السرى: السير في الظلام ليلاً.
وجون القطا: الطير، اسود البطن.
جثوم: راقدات.

[ما شجاني]

وقال أيضاً:

وممَّـا شجـاني أنهـا يـوم ودّعت   تقـول لنا أستـودعْ اللهَ من أدري
وكيف أعزّي النفس بعد فـراقها   وقدضاق بالكتمان من حبها صدري
فـــواللهِ واللهِ العـــزيـــز مكـــانـــه   وقد كاد روحي أن يزول بلا أمري
خليليَّ مُـرّا بعـد مـوتي بتـربتي   وقـولا لليلى ذا قتيلٌ من الهجـر

[دموع العين]

قال أبو بكر: مر رجل بالمجنون وهو يتردد في الرمل فقال: مالك يا أبا المهدي؟ فقال:

بي اليوم ما بي من هيام أصابني | فإيَّاك عني لا يكنْ بك ما بيا
كأن دموع العين تُسقَى جفونها | غداة رأت أظعانَ ليلى غواديا
عروباً أثرَّتها نواضح مُعرب | معلقةً تروي نحيلاً صواديا
أمرَّتْ ففاضت من فروع حثيثة | على جدول يعلو فناً متعاديا
وقد بعدوا واستطردوا الآلَ دونهم | بديمومة قفراً وأنزلتُ جاديا

قال: ثم تأوه واستعبر، فرأيت دموعه تتبادر على خده كاللؤلؤ المنثور وسمط الجمان المفصل بالشذور شفعاً ووتراً. وقال:

ذكرتُ عشية الصدفين ليلى | وكل الدهر ذكراها جديدُ
إذا حال الغرابُ الجون دوني | فمنقلبي إلى ليلى بعيدُ(٢٠٦)
عليّ أليَّةٌ إن كنت أدري | أينقص حب ليلى أو يزيدُ
لها في طرفها لحظات حتف | تميت بها وتحيي من تريدُ
وإن غضبتْ رأيتُ الناس هلكى | وإن رضيتْ فأرواحٌ تعودُ
فقلنَ لقد بكيتَ فقلت كلا | وهل يبكي من الطرب الجليدُ
ولكن قد أصاب سواد عيني | عويد ندىً له طرفٌ حديدُ
فقلن فما لدمعهما سواءٌ | أكلِتْا مقلتيكَ أصابَ عودُ؟

---

(٢٠٦) الجون: الشديد السواد.
منقلبي: عودتي.

[قاتل الله الهوى]

وقال أيضاً:

ألا قاتل الله الهوى ما أشدَّه ... وأسرعه للمرء وهْو جليدُ
دعاني الهوى من نحوها فأجبته ... فأصبح بي يستن حيث يريدُ(٢٠٧)

[على ذمتي دار لليلى]

حدثنا أبو عمرو الشيباني قال: حدثنا نوفل بن مساحق قال: خرجت يوماً أتضيف الأراوي(٢٠٨) ومعي جماعة من أصحابي، فلما صرت بناحية الحمى إذا أنا بأراكة(٢٠٩) قد بدا منها قطيع من ظباء في شخص إنسان يُرى من ظل تلك الأراكة، فتعجب أصحابي منه، وعرفته ساعة رأيته، فتخففت من ثيابي وخرجت أمشي رويدا حتى أتيت الأراكة، فرقيت عليها وأشرفت عليه وعلى الظباء، وإذا أنا به قد تدلى الشعر على حاجبيه وعينيه فلم أكد أعرفه إلا بعد هوى من النهار وهو يرتعي(٢١٠) من ثمر الأراك لا يرفع رأسه، فتمثلت بشيء من شعره وهو:

على ذمتي دارٌ لليلى كأنما ... إزاران من بردٍ لها خَلِقانِ
وكيف إلى ليلى إذا رمّ أعظمي ... وصار وسادي منكبي وبناني
وحلّت بأعلى بيشتين فأصبحتْ ... يمانيةً والرمس غيرُ يمانِ

---

(٢٠٧) من نحوها: من جهتها.
يستن: يذهب.
(٢٠٨) أتضيف: أُطعم.
الأراوي: جمع أروية وهو غنم البرية.
(٢٠٩) أراكة: مجتمع شجر الأراك والذي نأخذ منه السواك.
(٢١٠) يرتعي: يأكل.

[أيها الشيخ]

وقيل إن المجنون لما شهر أمره بليلى خطبت له، فأبى أبوها أن يزوِّجها، وهكذا كانت العرب إذا شهر رجل بحب أمرأة لم يزوجوها منه، فاشتد وجده وتراقت سورة عشقه، وكان له عم يقال له يزيد وكان شجاعاً بطلاً آلى أن لا يتزوج المجنون بليلى ولا أحد من الناس إلا قتله، فأنشأ يقول:

ألا أيها الشيخ الذي ما بنا يرضى ... شقيتَ ولا أدركتَ من عيشك الخفضا
شقيتَ كما أشقيتني وتركتني ... أهيم مع الهلّاك لا أطعم الغمضا
أما والذي أبلى بليلى بليتي ... وأصفى لليلى من مودتيَ المحضا
لأعطيتُ في ليلى الرضا مَن يبيعها ... ولو أكثروا لوْمي ولو أكثرُوا القرضا
فكم ذاكرٍ ليلى يعيش بكربة ... فينفض قلبي حين يذكرها نفضا
وحقِّ الهوى إني أحس من الهوى ... على كبدي ناراً وفي أعظمي مرضا
كأن فؤادي في مخاليب طائر ... إذا ذكرَتها النفس شدَّت به قبضا
كأن فجاج الأرض حلقة خاتم ... عليّ فما تزداد طولاً ولا عرضا
وأغشى فيحمى لي من الأرض مضجعي ... وأصرع أحياناً فألتزم الأرضا
رضيتُ بقتلي في هواها لأنني ... أرى حبها حتماً وطاعتها فرضا
إذا ذكرتْ ليلى أهيم لذكرها ... وكانت مُنى نفسي وكنتُ لها أرضى
وإن رُمت صبراً أو سلوّاً بغيرها ... رأيت جميع الناس من دونها بعضا

قال: فلما سمع عمه هذه الأبيات رق قلبه له وقال: لا يزَوجها أحد سوى ابن أخي إلا قتلته، فمكث برهة من دهره، ثم إن يزيد هلك **فأنشأ يقول**:

خليليَّ هل قيظٌ بنعمان راجع ... لياليهِ، أو أيامهنَّ الصوالحُ
ألا لا ولا أيامنا بمتالع ... رواجع ما أورى بزندي قادح
إذا العيش لم يكدر عليّ ولم يمت ... يزيدُ وإذ لي ذو العقيدة ناصح

قال فخطبوها من كل جانب، فأخبرتُ أن أبا ليلى حج بها فرآها رجل من ثقيف، فخطبها، فزوّجه، فبلغ ذلك المجنون، فأنشأ يقول:

ألا إن ليلى العامرية أصبحت ... تَقطع إلا من ثقيفٍ حبالها
إذا التفتتْ والعيسُ صعرٌ من البرَى ... بِنحلة غشى عبرة العينِ حالها
فهمْ حبسوها محبس البُدن وابتغى ... بها المال أقوام فلا قلَّ مالها

وقال أيضاً:

ألا يا بائعي ليلى بمكة ضلَّةً ... تبايعتما هل يستوي الثمنانِ
فما غُبِن المبتاع ليلى بماله ... بل البائعا ليلى هما غبنانِ

وقال أيضاً:

حبيبٌ نأى عني الزمان بقربه ... فصَيرَني فرداً بغير حبيب
فلي قلبٌ محزونٍ وعقلُ مدَّلهٍ ... ووحشةُ مهجورٍ وذلُّ غريبِ
فيا حُقبَ الأيام هل فيكِ مطمع ... لِردِّ حبيبٍ أو لدفع كُروبِ

[مقام الشمس]

(حكى الوالبي) قال: حدثنا رجل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، قال: خرج رجل منا إلى ناحية الشام وبلاد نجد في طلب بعير له، فأتى أحياء بني عامر فإذا خيمة رفعت له فقصدها وقد بل المطر ثيابه، فلما دنا إذ امرأة كلمته فقالت: انزل أيها الرجل، قال فنزلتُ وحططت رحلي وراحت إبلهم وغنمهم، فإذا نعم كثيرة ورحل خصيب، فقالت لبعض من كان مع الإبل، سلوا هذا الرجل من أين أقبل؟ فقلت من ناحية نجد وتهامة، فقالت يا عبد الله بمن نزلت هناك؟ قلت ببني عامر، فتنفست الصعداء، فقالت بأبي ونفسي بنو عامر، ثم قالت وهل سمعت بفتى يقال له قيس ويلقب بالمجنون؟ فقلت نعم والله نزلت بأبيه ولقد أتيته حتى نظرت إليه يهيم في الصحراء مع الوحوش لا يعقل حتى تذكر له ليلى، فإذا ذكروها ثاب إليه عقله فيحدّث بحديثها وينشد شعره فيها، قال فرفعت الستر من بيني وبينها فإذا هي شقة قمر لم تر عيني قط أجمل منها، وقالت هل تروي شعره؟ قلت: بلى هو الذي يقول:

أنيـري مكـان البـدر إن أفـل البـدرُ ... وقومي مقام الشمس ما استأخر الفجرُ
ففيـك من الشمس المنيـرة ضـوؤهـا ... ولـيس لهـا منـك التبسـم والثغـرُ
بلى لـك نـورُ الشمس والبـدر كـله ... ولا حملت عينيـك شمسٌ ولا بـدرُ
لـك الشرقـة اللألاءُ والبـدر طـالـع ... وليس لهـا منـك التـرائب والنحـرُ
ومن أين للشمس المنيـرة بـالضـحى ... بمكحـولـة العينين في طـرفهـا فتـرُ
وأنـي لهـا مِنْ دَلِّ ليـلى إذا انثنـت ... بعيني مهاة الرمـل قـد مسهـا الـذعـرُ
تبسـمُ لـيـلى عـن ثـنـايـا كـأنـهـا ... إقـاح بـجـرعـاء المـراضين أو دُرُّ
منعَّمـة لـو بـاشـر الـذرُّ جلدهـا ... لأثـر منهـا في مـدارجهـا الـذرُ(٢١١)
إذا أقبلت تـمشي تقـارب خـطوهـا ... إلى الأقرب الأدنى تقسمها البهـرُ(٢١٢)

---

(٢١١) الذر: صغار النمل.

(٢١٢) البهر: انقطاع النفس من كثرة الإعياء.

مـريضـة أثنـاء التعـطف إنهـا | تخاف على الأرداف يثلمها الخصرُ[٢١٣]
فمـا أم خشف بـالعقيقين تـرعـوي | إلى رَشأ طفل مفاصلهاخـِدرُ[٢١٤]
بمخضلّةٍ جـاد الـربيـع زُهـاءهـا | رهـائم وَسْميٌّ سحـائبـه غـزرُ
وقـفنـا عـلى أطـلال ليلى عـشيـة | بـأجـرع حـزوَى وهي طـامسـة دُثـرُ
يجـاد بهـا مـزنـان أسحمُ بـاكـر | وآخـر مِـعهـاد الـرواح لـهـا زجـرُ
وأوفى على روض الخـزامى نسيمهـا | وأنـوارها واخضـوضـل الـورق النضـرُ
رواحـا وقـد حـنـت أوائـل لـيلهـا | روائـح لـلإظـلام ألـوانـهـا كـدرُ
تـقلب عـيـنـي خـازل بـيـن مُـرعـوٍ | وآثـار آيـات وقـد راحت العُفـرُ[٢١٥]
بـأحـسنَ مـن ليـلى مـعـيـدة نـظرة | إليّ التفـاتـاً حين ولت بهـا السفـرُ
محـاذيـة عيـني بـدمـعٍ كـأنـمـا | تـحـلَّب مـن أشـفـارهـا دُرَرٌ غُـزرُ
فـلـم أر إلا مـقـلـةً لـم أكَـد بـهـا | أشيم رسـوم الـدار مـا فعـل الـذِّكـرُ
رَفعنَ بهـا خُـوصَ العيـون وجـوُهـا | مُلفعـةً تـربـاً وأعـينـهـا غُـزرُ[٢١٦]
ومـا زلت محمـودَ التصبـر في الـذي | ينـوب ولكن في الهوى ليس لي صبـرُ

فقالت: هل من مزيد؟ فأنشدتها:

أليس الليـلُ يـجمـعنـي وليـلى | كفـاك بـذاك فيـه لنـا تـدانِي
تـرى وضـح النهـار كمـا أراه | ويعلوهـا النهـار كمـا عـلاني

قال: فوالله ما أتممت البيتين حتى شهقت شهقة وسقطت على وجهها تبكي حتى ظننت أن كبدها قد تصدعت، فقلت يا هذه أما تتقين الله الذي إليه معادك؟ فما عقلت ما قلت لها، ثم قامت بعد حين وأنشأت تقول:

---

(٢١٣) يثلمها: يعيبها.
(٢١٤) خدر: جمع أخدر وهو الضعيف.
الرهائم: الأمطار.
الوسمي: أول أمطار الربيع.
(٢١٥) خازل: منتصف الظهر.
مرعو: عائد.
العفر: جمع أعفر، وهو نوع من الظباء.
(٢١٦) خوص العيون: غائرات العيون.
غزر: ضيقه.

ألا ليت شِعري والخطوب كثيرة متى رَحْلُ قيسٍ مستقلٌّ فـراجعُ
بنفسي من لا يستقــلُّ بــرَحـله وَمن هو إن لم يحفظ الله ضائع

ثم أقمت عندها ثلاثاً تسألني عن خبره وتبكي بكاء يتوجع لها كبدي فوالله ما ظننتُ أحداً يجد كوجدها ولوعتها، فلما أردت الرحيل سألت عنها فإذا هي ليلى العامرية.

[قوى النفس]

وذكر قيس بن معمر قال: قلت لليلى: من أعز خلق الله عليك؟ قالت: مَن إذا عَثرتُ نهضت باسمه، وإذا رقدت حلمت بوجهه :قيس ابن الملوح، قلتُ: فهل قلتِ في ذلك شعراً؟ قالت: نعم. وأنشأت تقول:

إذا ذَهلتْ رِجلي بـدأتُ بـذكـره وأحْلُمُ في نَوْمي بـه وأعيشُ
إذا ذُكـرَ المجنونُ زالت بـذكـره قوَى النفس أو كاد الفؤادُ يطيشُ
ووالله مـا كـادَ الـفؤادُ يُـجنُّـهُ وإن كان صدري من هواهُ يجيشُ

[توعدني قومي]

قال أبو جائع لبيد بن عنبسة: حدثني بعض الرواة أنه قيل لليلى العامرية: والله لئن لم تنتهي عن ذكره لنقتلنكما معاً، فبعثت إلى القائل على يد مولاة لها رقة مكتوباً فيها:

تـوَعَّـدَني قـومي بـقتـلي وقتـله فقلتُ اقتلوني واتـركـوه من الـذنبِ
ولا تُـتِبـعـوهُ بـعـد قـتـلي ذِلَّـةً كفى بالذي يلقـاهُ من سَوْرةِ الحبِّ

وقال الحسن بن سهل: أنشدني أحمد بن إسماعيل الكاتب لليلى العامرية:

قـد كنتُ حـاذِرة للدهـرِ عـارفـةً أن سوفَ يطلبني بالرمي مفتقِـدا
حتى رماني بمن قد جلّ عن صفتي فما أرى لي به ويْلي الغداةَ يدَا
لِقْتُ الـدواة بمـاءِ العينِ ثمَّ بـه كتبتُ ما يكتبُ المجهودُ إذْ جهَدا
هذا الوداعُ لمن روحي الفِداءُ له قـد خِفتُ أن لا أراه بعدَه أبـدَا

[ثلاثون يوماً]

قال أبو بكر: ذكر أن المجنون لما تراقت علته إلى صعوبة وعسر علاجه، وأعيا الأطباءَ داؤه، ولـم ينجع فيه الدواء، وصار إلى أسوإ حالة من توحشه في الصحاري، شق ذلك على ليلى وأذهلها، فدعت بغلام وكتبت إليه: بسم الله الرحمن، واللهِ يا ابن عم إن الذي بي أضعافُ ما بقلبك ولكن وجدت الستزة أبقى للمودة وأحمد في العاقبة. وكتبت آخره:

فلوْ أن ما ألقى وما بي من الهوى ... بـأرْعنَ رُكناهُ صَفـاً وحـديـدُ
تقـطَّع من وَجـد وذابَ حـديـدهُ ... وأمسي تـراه العينُ وهْـو عميـد
ثـلاثـون يـوماً كُـلَّ يـومٍ وليلةٍ ... أمـوتُ وأحيـا إنَّ ذا لشـديـدُ

[أحن إلى ليلى]

وأمرت الغلام بطلبه حيث كان من الأرض وردِّ الجواب عنه، فمضى الغلام ولم يزل يطلبه في الصحارى حتى أصابه في يوم صائف شديد القيظ والسموم، قد لجأ إلى كهف جبل عظيم وهو مطرق ينكت الأرض بإصبعه ويقول:

أحِنُّ إلى ليلى وإن شطَّتِ النوَى ... بليلى كما حنَّ اليراعُ المنشبَ
يقولون ليلى عذَّبتك بحبها ... ألا حبذّا ذاك الحبيب المعذِّب

فدنا منه وقال: يا قيس هذا كتاب ليلى وهي تقرأ عليك السلام، فلما ذكرها رجع إليه عقله واستوى قاعداً وتناول الكتاب وقرأه وجعل يبكي ويقول:

إذا جاءَني منها الكتابُ بعيْنِه ... خلوْتُ ببيتي حيثُ كنتُ من الأرضِ
فأبكي لنفسي رحمةً من جفائِها ... ويبكي من الهُجرانِ بعضي على بعضي
وإني لأهواها مُسيئاً ومحسناً ... وأقضِي على نفسي لها بالذي تقضي
فحتى متى روحُ الرِّضا لا ينالُني ... وحتى متى أيامُ سخطك لا تمضي

ثم أجابها عن كتابها بهذه الأبيات:

أيا مُهدِ لي نعْيَ الحبيبِ صبيحةً ... بمن وإلى مَن جئتما تشيانِ
بمنْ لو رآه عانِياً لفدَيتُه ... ومن لو رآني عانياً لفداني
فمنْ مُبلِغٌ عني الحبيبَ رسالةً ... بأنَّ فؤادي دائمُ الخفقانِ
وأني ممنوعٌ من النوْمِ مُدْنفٌ ... وعيْنَاي من وَجد الأسى يكِفان

وضمنه:

وجَدتُ الحبَّ نيراناً تلظَّى ... قلوبُ العاشقيْن لها وَقودُ
فلو كانتْ إذا احترقتْ تفانتْ ... ولكنْ كلما احترقتْ تعودُ
كأهلِ النارِ إذْ نضجتْ جلودٌ ... أُعيدتْ للشقاءِ لهمْ جلودُ

أمَـا والـذي أعــطاكِ بـطشــاً وقـوةً وصبراً وأزرى بي ونَقَّص مِن بطشيٍ
لقد محَّض الله الهوَى لـكِ خالصـاً وركبَّــهُ في القلبِ مِـنّي بــلا غش
تَبـرَّأ مِن كـلِّ الجسـوم وَحـلّ بي فإن متُّ يومـاً فاطلبـوهُ على نعشي
سلِي الليـلَ عني هـل أذوقُ رقـادَه وهـل لِضلوعي مستقرٌ على فـرشي

[يا طبيب الجن]

وذكر أبو بكر قال: مرَّ بعض الأطباء بحيهم، فسأله أبو المجنون ما تعالج؟ قال: أعالج كل مسحور مجنون، قال: مكانك لِآتيك بابن لي يهيم في الصحراء. فخرجوا في طلبه فما زالوا يطلبونه حتى قدروا عليه وأدخلوه إلى الطبيب، وأقبل يسقيه، فلما أكثر عليه المعالجة أنشأ يقول:

ألا يــا طبيبَ الجنِّ ويْحكَ داوِني ... فــإنَّ طبيبَ الإنسِ أعيــاهُ دائيــا
أتيتُ طبيبَ الإنسِ شيخاً مُداوياً ... بمكــةَ يُعـطي في الـدَّواءِ الأمـانيــا
فقلتُ لـهُ يا عمِّ حُكمكَ فـاحتكِمْ ... إذا مـا كشفْتَ اليومَ يـا عمِّ مـابيـا
فخـاضَ شراباً بـارداً في زُجاجـةٍ ... وطـــرَّحَ فيــه سَلوةً وسَـــقـانيــا
فقلتُ ومرْضَى الناسِ يسعوْنَ حولهُ ... أعـوذُ بـربِّ النـاسِ منـكَ مُـداويـا
فقال: شفاءُ الحبِّ أنْ تُلصقَ الحشا ... بـأحشاءِ من تهْـوَى إذا كنتَ خاليـا

فقال: وايم الله(٢١٧) عاشق، ودواؤها أن يلصق الحشا بـأحشاء من يهـوى، والمجنون يَعضُّ شفتيه ولسانه حتى خلَّوه، ثم نهض فمضى على وجهه، فبينما هو يدور إذ رأى ناراً في سفح أكمة(٢١٨) فدنا منه فإذا هم قوم رعاة فقال:

رعــاةَ الليــلِ مــا فعــلَ الصَّبــاحُ ... ومـــا فـــعـــلتْ أوائــلهُ الـــمـــلاحُ
ومــا بــالُ الــذيـن سبَــوْا فـؤادي ... أقــامــوا أم أجَــدَّ بــهــم رواحُ
ومــا بــالُ الـنجـومِ مُـعـلَّقـاتٍ ... بـقلبِ الـصـبِّ لـيس لـهـا بـراحُ
كــأنَّ الـقلبَ لـيلةَ قـيـلَ يُـغـدَى ... بـلـيـلى الـعـامـريَّـةِ أو يُـراحُ
قــطاةٌ غــرَّهــا شــرَكٌ فــبــاتــتْ ... تــجــاذبــهُ وقــد عـلقَ الـجـنـاحُ

---

(٢١٧) أي ويمين الله ـ قسم.

(٢١٨) في أعلى مرتفع من المرتفعات ـ فاقترب منه

لهـا فـرخـانِ قـد تُـركـا بقفـرٍ وعـشُّـهـمـا تـصـفّـقُـهُ الـرِّيـاحُ
إذا سمعـا هُبـوبَ الـريـح هَبًّـا وقـالا أمُّـنَـا تـأتـي الـرواحُ
فـلا بـالليْـلَ نـالتْ مـا تـرَجَّى ولا في الصبـحِ كـانَ لهـا بـراحُ
رُعـاةَ الليـلِ كـونـوا كيف شئتمْ فـقـد أوْدَى بيَ الـحبُّ الـمنـاحُ

[يا ناعيي ليلى]

وقال أبو بكر: إن المجنون بينما هو ذات يوم في أودية مصلة، قد أسند ظهره إلى بعض الصُّوى[٢١٩] حزيناً كئيباً، إذ مر به فارسان فنعيا إليه ليلى وقالا: مضت لسبيلها. فخر المجنون مغشيًّا عليه، فلما أفاق أنشأ يقول:

أيا ناعييْ ليلى بجانبِ هضبةٍ ... أمَا كان ينْعاها إليَّ سِوَاكما
ويا ناعييْ ليلى بجانبِ هضبة ... فمن بعد ليلى لا أمرَّت قواكُما
ويا ناعييْ ليلى لقد هجتُما لنا ... تباريحَ نوْحٍ في الدِّيار كلاكُما
فلا عِشتما إلا حليفيْ مصيبةٍ ... ولا مُتُّما حتى يطول بَلاكُما
وأسلمتِ الأيامُ فيها عجائبا ... نبوْتُكما إني أحبُّ رَدَاكما
أظنُّكما لا تعلمانِ مُصيبتي ... لقد حَلَّ بينُ الوصلِ فيما أراكُما

قال: ثم مضى حتى دخل الحي بعدما لم يكن يمر به إلا من بعيد، فأتى أهل بيتها فعزّاهم فعزوه، فقال دلوني على قبرها، فلما عرفه رمى بنفسه على القبر والتزمه، وأنشأ يقول:

أيا قبر ليلَى لو شهدناكَ أعولتْ ... عليك نساءٌ من فصيحٍ ومن عجَمْ
ويا قبر ليلى أكرمنَّ محلَّها ... يكنْ لك ما عشنا علينا بها نُعمْ
ويا قبرَ ليلى إنَّ ليلى غريبةٌ ... بأرضكَ لا خلٌّ لديها ولا ابنُ عمْ
ويا قبرَ ليلى ما تضمنْتَ قبلها ... شبيهاً لليلى ذا عفافٍ وذا كرمْ
ويا قبرَ ليلى غابتِ اليوم أمُّها ... وخالتُها والحافظونَ لها الذِّممْ

---

(٢١٩) الصوى: جمع صوة، وهي الصخور.

[إلى قبر ليلى]

قال أبو بكر: ثم إنه كان يأوي إلى قبر ليلى ويدور نهاره حتى جف جلده على عظمه، واشتدت بليته، فمكث على ذلك دهراً، ثم إن رجلاً أحب لقاءه والنظر إليه وإلى ناحية نجد، قال الرجل فلما صرت إلى بلدهم سرت إلى محلتهم، فإذا أبوه شيخ كبير وحوله أبناءٌ ذوو أموال وهيئات ونعم ظاهرة، فسألتهم عن المجنون فبكوا بكاء شديداً ثم قال الشيخ: كان والله أحسن هؤلاء، وإنه عشقَ امرأة من قومه لم تكن في المال مثله، فلم أر تزويجها إياه، وما أظن أنه يبلغ من حبها ما بلغ، فلما تمادى به الحب طلبناها فمنعها أبوها ثم زوّجها غيره، فجن ابني بها وجداً فحبسناه وقيدناه، فكان يَعَض لسانه وشفتيه حتى كاد يقطعهما، فلما رأينا منه ذلك خلينا سبيله فذهب في هذه الفيافي يرعَى مع الوحوش ويرِدُ المياه ونحن نبعث إليه كل يوم بطعام وشراب فيوضع له حيث يرى، فإذا انتحى عنه الواضع جاء وأكل. قلت: فإني أحب لقاءه فدلوني عليه، قالوا اخرج إلى هذه الصحراء فإنك تصيبه هناك. قلت: إذا رأيته كيف أحتال للدنوّ منه؟ قالوا: فإذا رأيته فأنشده بعض شعر قيس بن ذريح، فإنه معجب بشعره. قال الأعرابي: فذهبت فأصبته قاعداً يلعب بالتراب، فجلست قريباً منه، فأقبل يلاحظني ساعة بعد ساعة، فقلت: أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول:

وإني لمفنٍ دمعَ عينيَّ بالبكا ... حذاراً لِما قد كان أو هو كائنُ
وما كنتُ أخشى أن تكونَ منيتي ... بكفِّي إلا أن ما حان حائنُ
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليَّةٌ ... فراقُ حبيبٍ بانَ أو هو بائنُ

قال: فبكى بكاء شديداً وسالت دموعه على خده وأنشأ يقول:

لِصفراءَ في قلبي من الحُبِّ شعبةٌ ... هَوًى لم ترُمهُ الغانياتُ صَميمُ
به حلَّ بيتَ الحبِّ ثم انثنى به ... فزالتْ بيوتُ الحيِّ وهْوَ مقيمُ
ومَن يتهيَّض(٢٢٠) حبُّهنَّ فؤادَه ... يمُتْ ويعشْ ما عاش وهْو سقيمُ

---

(٢٢٠) يتهيض: يحطم.

فَحَرٍ إن صاد أن يُذَد عن بردِ مشرب — وعن بللاتِ الماءِ وهْو يحومُ
بكتْ دارُهمْ من فقدِهم وتهللتْ — دموعي فأيُّ الجازعيْن ألومُ
أهذا الذي يبكي من الهُون والبَلا — أم اخرُ يبكي شجوَه ويهيم
إلى الله أشكو حبَّ ليلى كما شكا — إلى الله فَقْدَ الوالديْن يتيمُ
يتيمٌ جفاهُ الأقربون فعظمُه — كسيرٌ وفقدُ الوالدينِ عظيمُ
أفي الحقِّ هذا أنَّ قلبكِ فارغٌ — وقلبيَ مما قد أجَنَّ يَهيمُ
إذا ذُكرتْ ليلى أئِنُّ لذكرِها — كما أنَّ بَين العائداتِ سقيمُ
عليَّ دماءُ البُدن إن كان حبُّها — على النأيِ في طول الزمان يَريمُ(٢٢١)
دَعُوني فما عنْ رأيكمْ كان حبُّها — ولكنه حظٌّ لها وقسيمُ

وقال أيضاً :

لم تزل مُقلتي تفيضُ بدمعٍ — مِثل فيْض الغيوث مذ فقدَتْها
مُقلةٌ دمُعها حثيثٌ وأخرى — كلما جفَّ دمعُها أسعدتْها
ما جرتَ هذه على الخدِّ حتى — لحِقتْ تلك بالتي سبقتها
دمعةٌ بعد دمعةٍ فإذا ما — لحِقتْ تلك هذه أحدرَتها

قال الأعرابي : فأقسمت عليه أن ينشدني بعض أشعاره ، فأنشد يقول :

لئن كثُرتْ رُقّابُ ليلى لطالما — لهوْتُ بليلى ما لهنَّ رقيبُ
وإنْ حالَ يأس دون ليلى فربما — أتى اليأسُ دونَ الشيءِ وهْو حبيبُ
ومنَّيتني حتى إذا ما رأيتني — على شرَفٍ للناظرين قريب(٢٢٢)
صددتِ وأشمتِّ العِدَاةَ بهجرنا — أثابكِ فيما تصنعين مُثيبُ
أأبْعدُ عنكِ النفسَ والنفسُ صَبَّةٌ — بذكركِ والممشى إليكِ قريبُ
مخافةَ أن تسعى الوشاةُ مَظنةً — وإكرامُكم أن يستريبَ مريبُ
أمَا والذي يبلو السرائرَ كلَّها — ويعلمُ ما تُبدي به وتغيبُ
لقد كنتِ ممنْ تصطفي النفسُ خِلةً — لها دونَ خِلّانِ الصفاءِ حُجُوبُ
وإني لأستحييكِ حتى كأنما — عليَّ بظهر الغيبِ منكِ رقيبُ

---

(٢٢١) يريم : يبرح وينقطع .
(٢٢٢) شرف : مكان مرتفع .

تلِجِّين حتى يذهبَ اليأسُ بالهوى وحتى تكادَ النفسُ عنكِ تطيب(٢٢٣)
سأستعطفُ الأيامَ فيكِ لعلها بيومِ سروري في هواك تؤوبُ

وقال أيضاً:

ألا هلْ طلوعُ الشمسِ يُهدي تحيةً إلى آل ليلى أو دنوُّ غروبها
أتُضرَبُ ليلى إن مررتُ بذي الغَضى وما ذنبُ ليلى إن طوى الأرضَ ذيبُها(٢٢٤)
أجَلَّ عليّ الرَجمُ إن قلتُ حبَّذا غروبُ ثنايا أمِّ عمرو وطيبُها(٢٢٥)

وقال أيضاً:

فيا ليت ليلى وافقتْ كلَّ حجَّةٍ قضاءً على ليلى وإني رفيقُها
فتجمعُنا مِنْ نخلتينِ ثنيةٌ يغصُّ بأعضادِ المطِيِّ طريقها(٢٢٦)
فالقاك عند الركنِ أو جانبِ الصفا ويَشغلُ عنا أهلَ مكةَ سُوقُها
فأنشدُها أنْ نحوِي الهونُ والهوَى وتمنحُ نفساً طالَ مطلاً حقوقُها(٢٢٧)

قال: فلما فرغ انصرفتُ إلى الحي وحدثتهم بحديثه وما أنشدني من شعره، فقالوا لي: ويحك إن رجعت إليه فانظر عسى أن تأخذ قصيدته التي قالها في الثمدين فقد جهدنا على نسخها فلم نقدر عليه. قال الأعرابي: فمررت إليه ثانياً فلم أزل أطلبه حتى وجدته على قوز(٢٢٨) من الأرض قد كوّمته الريح كوما يخط بأصبعه فيه، فدنوت وجلست إليه وهو يلاحظني فقلت: أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول:

---

(٢٢٣) شرف: مكان عالٍ (والمقصود هنا أنه يلقي بنفسه منه).
(٢٢٤) تلجين: تقسين.
(٢٢٥) ذي الغضى: اسم لموضع.
ذيبها: طالبها أو الذئب الذي يبحث عنها.
ثنايا: جمع ثنية وهي السن.
أم عمرو: كنية أخرى لليلى العامرية محبوبة المجنون.
(٢٢٦) ثنية: طريق (العقبة).
يغصُّ: يمتلىء.
أعضاد: جمع عضد، وهو الساعد في الإنسان.
(٢٢٧) الهون: الهوان.
مطلاً: مماطلة وتسويفاً.
(٢٢٨) القوز: الكثيب من الرمال ـ ويجمع على أقواز وقيزان.

فــواكبــدي وعـــاوَدني رواعـي — وكـــان فـراق لبنى كـــالخــداعِ
تكنَّفني الــوُشـــاةُ فــأزعجــوني — فَـيـــا لله لـلواشـــي الـمـــطاعِ
فــأصبحتُ الغــداةَ ألــومُ نفسي — عــلى شيءٍ ولـيسَ بمـســتــطاعِ
كمغبــونٍ يعضُّ عــلى يــديــه — تَـبينَ غَبـنُـــهُ بعـــدَ البيـــاعِ
إذا ما تُذكرينَ تحنُّ نفسي — حنينَ الإلفِ يطرَبُ للسماعِ

قال المجنون: بلى والله، واستعبرَ حيناً، ثم قال: أنا أشعر منه حيث أقول:

فــوالله ثــم الله إنــــي لــدائِــبــاً — أُفكِّــرُ مــا ذنبي إليــكِ فــأعـجبُ
ووالله مـــا أدري عـــلامَ هجـــرتِني — وأيَّ أمـــورٍ فيــكِ يــا ليــلَ اركبُ
أأقطعُ حبلَ الـوصل فـالموتُ دونـهُ — وأشـربُ كـأسـاً منكُم ليس يُشـربُ
أم اهـربُ حتى لا أرى لي مجاوراً — أم افعــلُ مـاذا أم أبــوحُ فــأغلبُ
فــأيهمـــا يـــا ليــلُ مـــا تفعلينــهُ — فــأوّلُ مـهـجـورٌ وآخــرُ متـعَـبُ
فلو تلتقي أرواحُنـــا بعـــدَ مـــوتنـــا — ومِنْ دونِ رمسيْنا من الأرضِ مَنكبُ(٢٢٩)
لـظلَّ صــدى رَمسي وإنْ كنتُ رِمَّـةً — لــدى صــوتِ ليلى يَهَشُّ ويــطربُ

فإن لم أكن أشعر منه في هذا، فأنا أشعر منه حيث أقول:

ألا يــا نسيمَ الريـح حكمكَ جــائـرٌ — عــليَّ إذا أرْضيــتــنـــي ورضيـــتُ
ألا يــا نسيم الريــحِ لــو أن واحــداً — من النـــاسِ يَبليــه الهـــوى لبليتُ
فلو خُلط السمُّ الــزُّعــافُ بــريقهــا — تــمصَّـصــتُ مـنـــه نــهـلةً ورويــتُ

ثم قال: فإن لم أكن أشعر منه في هذا فأنا أشعر منه حيث أقول:

وعــارضنَ بــالعقيــان كــلَّ مُفلَّجٍ — به الظَّلمُ لم تقْللْ لهُنَّ غروب(٢٣٠)

---

(٢٢٩) دون: بعد.
الرمس: تراب القبر.
منكب: الكتف.
(٢٣٠) العقيان: الذهب الخالص.
مفلج: متباعد ما بين الأسنان.
الظلم: بريق الأسنان وماؤها.

رُضابٌ كريـح المسكِ يجلو مُتـونه   من الضَّرو أو فرخِ البشام قضيبُ[٢٣١]

ثم غشي عليه، فلما أفاق قلت: أحسن والله قيس بن ذريح .

---

(٢٣١) رُضاب: بضم الراء، الريق.
متونه: جمع متن وهو الظهر.
البشام: شجر طيبُ الريح يستاك به.
قضيب: غصن أو سواك.

[هبوني امرأ]

حيث يقول:

هَبوني امـرأً إن تُحسنـوا فهو شـاكرٌ | لـذاكَ وإنْ لمْ تحسنوا فهـوَ صافـحُ
فـإنْ يـكَ أقـوامٌ أشـاروا بقتلهـا | فـإنَّ الـذي بيني وبينـكِ صالـحُ
فمـا وَجِدَتْ وجـدي بِهـا أمٌّ واحـدٍ | بـواجِـدهـا ضُمَّتْ عليـهِ صفـائـحُ
وَجـدتُ بهـا وَجْـدَ المُـظلِّ رِكـابـهُ | بمكـةَ والـرُكبـانُ غـادٍ ورائِـحُ

فقال: أنا أشعر منه حيث أقول:

وأدنيتِني حتى إذا ما فتنتني | بقولٍ يُحلُّ العصمَ سهلِ الأباطح
تجافيتِ عني حتى لا ليَ حيلة | وغادرتِ ما غادرتِ بينَ الجوانحِ

فقلت: سألتك بحق قبر ليلى أن تنشدني قصيدتك التي قلتها في الثمدين، وقد كنت أخذت معي دواة وقرطاساً، فأنشد:

تـذكـرتُ ليلى والسنينَ الخـواليـا | وأيـامَ لا نخشى على اللهـوِ نـاهيـا
ويـومٌ كـظلِّ الـرمـحِ قصَّـرتُ ظلَّه | بليلى فلهَّـاني ومـا كـنت لاهـيـا

[لاحت نار ليلى]

بثمدَينَ لاحتْ نارُ ليلى وصُحبتي | بذاتِ الغَضَى تُزجي المطِيَّ النَّواجيا
فقال بصيرُ القومِ لمَّحتُ كوكباً | بدا في سوادِ الليلِ فرداً يمانيا
فقلتُ لهُ بل نارُ ليلى توقَّدتْ | بعليَا تسامَى ضوْؤها فبدا ليا[٢٣٢]
فليتَ ركابَ القومِ لمْ تقطع الغَضَى | وليتَ الغضَى ماشَى الرِّكابَ لياليا[٢٣٣]
فيا ليلُ كم من حاجةٍ لي مُهمةٍ | إذا جئتكم بالليل لمْ أدر ما هيا
خليليَّ إنْ لا تبكيانيَ ألتمسْ | خليلاً إذا أنزفتُ دَمعي بكى ليا
فما أشرفُ الأبقاعَ إلا صبابةً | ولا أنشدُ الأشعارَ إلا تداويا
وقد يجمعُ الله الشتيتينِ بعدما | يظنانِ كلَّ الظنِّ أنْ لا تلاقيا

[لحى الله أقواماً]

لحى الله أقواماً يقولون إننا | وجدنا طوالَ الدهر للحبِّ شافيا
وعهدي بليلى وهْيَ ذاتُ مؤصَّدٍ | تَردُّ علينا بالعشيِّ المواشيا[٢٣٤]
فشبَّ بنو ليلى وشبَّ بنو ابنها | وأعلاقُ ليلى في فؤادي كما هيا
إذا ما جلسنا مجلساً نستلذهُ | تواشوْا بنا حتى أملَّ مكانيا
سقَى الله جاراتٍ لليلى تباعدتْ | بهنَّ النَّوى حيثُ احتللن المطاليا
ولم يُنسني ليلى افتقارٌ ولا غنىً | ولا توبةٌ حتى احتضنتُ السواريا
ولا نسوةٌ صبغنَ كيداءَ جلعداً | لتشبهَ ليلى ثم عرَّضْنها لِيا[٢٣٥]
خليليَّ لا والله لا أملكُ الذي | قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا

---

(٢٣٢) عليا: علياء وهي مكان عالٍ.
تسامى: ارتفع.
(٢٣٣) الغضى: شجر أو موضع به شجر.
(٢٣٤) مؤصد: فناء.
(٢٣٥) كيداء: هي الرأس المكشوفة.
جلعد: لا تستتر.

[ابتلاني بحبها]

قضاها لغيري وابتلاني بحبها ... فهلّاً بشيءٍ غيرِ ليلى ابتلانيا
وخبَّرتماني أنَّ تيماءَ منزلٌ ... لليلىَ إذا ما الصَّيْفُ ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيفِ عنَّا قد انقضتْ ... فما للنوى ترمي بليْلى المراميا
فلو أنَّ واشٍ باليمامة دارهُ ... ودارِي بأعلى حضرموْت اهتدى ليا
وماذا لهم لا أحسنَ الله حالهم ... من الحظّ في تصريم ليلى حباليا
وقد كنتُ أعلو حُبَّ ليلى فلم يزلْ ... بِيَ النقضُ والإبرَامُ حتى علانيَا
فيا ربِّ سَوِّ الحُبَّ بيني وبينها ... يكونُ كفافاً لا عليَّ ولا ليا
فما طلع النجمُ الذي يُهتدى به ... ولا الصبحُ إلا هيَّجا ذكرَها ليا
ولا سِرتُ مِيلاً من دمشقَ ولا بدا ... سُهيلٌ لأهل الشام إلا بدا ليا

[أحبها]

ولا سمِّيتْ عندي لها من سميَّةٍ من الناسِ إلا بلَّ دمعي ردائيا
ولا هبَّتِ الريح الجنوب لأرضها من الليل إلا بتُّ للريح جانيا
فإن تمنعوا ليلى وتحموا بلادَها عليَّ فلن تحموا عليَّ القوافيا
فأشهدُ عند الله أني أحبُّها فهذا لها عندي فما عندها ليا
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا وبالشوق مني والغرامِ قضى ليا
وإن الذي أمَّلتُ يا أمَّ مالك أشابَ فويدي[236] واستهان فؤاديا
أعُدُّ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ وقد عشتُ دهراً لا أعدُّ اللياليا
وأخرُجُ من بين البيوت لعلني أحدِّثُ عنكِ النفسَ بالليلِ خاليا
أراني إذا صلَّيتُ يممْتُ نحوَها بوجهي وإن كان المصلَّى ورائيا
وما بِيَ إشراكٌ ولكنَّ حبَّها وعُظمَ الجوَى أعيا الطبيبَ المداويا
أحبُّ من الأسماءِ ما وافق اسمها أو اشبهُهُ أو كان منه مدانيا
خليليَّ ليلى أكبرُ الحاجِ والمنى فمن لي بليلى أو فمن ذا لها بيا

(٢٣٦) فودا الرأس: جانباه، وغالباً ما يبدأ الشيب في الظهور من خلالهما.

[يا حمامة]

لعَمري لقد أبكيتني يا حمامةَ الـ ... عقيق وأبكيْتِ العيونَ البواكيا
خليليَّ ما أرجو من العيْش بعدَما ... أرى حاجتي تُشرى ولا تشترَى ليا
وتجرمُ ليلى ثم تزعُم أنني ... سلوتُ ولا يخفى على الناس ما بيا
فلمْ أرَ مثلينا خليليْ صبابةٍ ... أشدَّ على رغم الأعادي تصافيا
خليلانِ لا نرجو اللقاءَ ولا نرى ... خليلين لا يرجون أن لا تلاقيا
وإني لأستحييكِ أن تعرضَ المنى ... بوصلكِ أو أن تعرضي في المنى ليا
يقولُ أناسٌ علَّ مجنونَ عامرٍ ... يرومُ سُلواً قلتُ أنّى لما بيا
بيَ اليأسُ أو داءُ الهيام أصابني ... فإياكَ عني لا يكنْ بك ما بيا
إذا ما اسْتطال الدهرُ يا أمَّ مالكٍ ... فشأنُ المنايا القاضياتِ وشانيا
إذا اكتحلتْ عيني بعينك لم تزلْ ... بخيرٍ وحلَّتْ غمرةٌ عن فؤاديا

[أيها الركب اليمانون]

فأنتِ التي إن شئتِ أشقيت عيشتي ... وأنت التي إن شئت أنعمت باليا
وأنت التي ما من صديقٍ ولا عِدا ... يرى نضوَ ما أبقيتِ إلا رثى ليا
أمضروبةٌ ليلى على أن أزورَها ... ومُتخذٌ ذنباً لها أن ترانيا
إذا سرتُ في الأرض الفضاءِ رأيتُني ... أصانعُ رحْلي أن يميلَ حِياليا
يميناً إذا كانت يمينا وإن تكن ... شمالاً ينازعْني الهوى عن شماليا
وإني لأستغشي وما بي نعسةٌ ... لعل خيالاً منك يلقى خياليا
هي السحرُ إلا أن للسحر رُقيةً ... وإني لا ألْقى لها الدهرَ راقيا
إذا نحنُ أدلجنا وأنتِ أمامنا ... كفى لمطايانا بذكراكِ هاديا
ذكتْ نارُ شوقي في فؤادي فأصبحت ... لها وهجٌ مستضرَم في فؤاديا
ألا أيها الركبُ اليمانيّون عرِّجوا ... علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
أسائلكم هل سالَ نعمانُ بعدنا ... وحُبَّ إلينا بطنُ نعمانَ واديا
ألا يا حمامَيْ بطنِ نعمانَ هجتما ... عليَّ الهوى لمَّا تغنيتما ليا

[يقتل المرء نفسه]

وأبكيْتمـــانـي وَسط صحبي ولـم أكن أبـالي دمـوعَ العينِ لــو كنتُ خـاليـا
ويــا أيـهــا القُـمــريَّتــان تـجـاوَبـا بـلحْنيكـمــا ثم اسْجعـا عَـللانـيـا
فــإن أنتمــا استـطربتمــا أوْ أردتمــا لحَاقـاً بـأطـلالِ الغضى فــاتبعـانيـا
ألا ليتَ شعــري مـا للّيْلى ومــا ليــا ومــا للصبا من بعــد شيب عـلانيـا
ألا أيـهــا الــواشي بـليـلى ألا تــرى إلى من تشيهــا أو لمـن أنت واشيــا
لئن ظعـن الأحبــابُ يــا أمَّ مــالــكٍ فمــا ظعن الحبُّ الـذي في فؤاديـا
فيــا رُبِّ إذْ صيــرتَ ليلى هيَ المنى فــزِنّي بعينيهــا كمــا زنتهــا ليــا
وإلا فــبَــغّـضْــهــا إلــيَّ وأهــلهــا فــإني بليلى قــد لقيتُ الــدواهيــا
على مِثــل ليلى يقتـلُ المــرءُ نفســه وإن كنتُ من ليلى على اليأس طاويـا
خـليـليَّ إن ضـنّــوا بـليـلى فـقــرِّبــا ليَ النعشَ والأكفــانَ واستغـفِـرا ليــا

ـ **قال الأعرابي**: فلما أتم هذه القصيدة ظهرت له ظبية فوثب في طلبها والتفت إليَّ وقال: السلام عليك فما أراك تراني بعد هذا أبدا.

ـ **قال الأعرابي**: ثم مضيت إلى الحي فأخبرتهم خبره وأنشدتهم قصيدته فكتبوها، فلما كان من الغد بكرت إليه وطلبته فلم أقدر عليه فانصرفت إلى الحي وأعلمتهم، فقام إخوته وبنو عمه وأهل بيته فطلبناه يومنا وليلتنا فلما أصبحنا هبطنا إلى واد كثير الحجارة والرمل إذا نحن به ميتاً، وقد كان خط بأصبعه عند رأسه هذين البيتين:

تـوسَّـدَ أحجــارَ المهـامــه والقفـر ومـاتَ جريحَ القلب مندمـلَ الصدرِ
فيــا ليت هــذا الحِبَّ يعشق مــرةً فيعلمَ مـا يلقَى المحبُّ من الهجـر

فرثيناه وعلت أصواتنا بالبكاء وحملناه إلى الحي، فبكى عليه الغريب والقريب وكل من سمع باسمه يوماً، ثم غسلناه وكفناه ودفناه إلى جانب قبر ليلى، رحمهما الله تعالى.

[كل امرىءَ للموت شارب]

قال أبو بكر: لما مات الملوّح أبو المجنون، بلغه ذلك، فأتى قبره وكانت له ناقة فنحرها على قبره، وكانت العرب هذا شأنها تفعل ذلك إذا مات منهم أحد، وأنشأ يقول:

عقــرْتُ على قبــرِ الملوّحِ نــاقتي ... بـذي الرمثِ لمـا أن جفــاه أقـاربُـه

فقلتُ لهــا كــوني عَقيــراً فــإنني ... غـداةَ غَـدٍ مـاشٍ وبـالأمس راكبُـهْ

فـلا يُبعـدَنْـك الله يـا ابن مُـزاحمٍ ... فكـلُّ امرىءٍ للمـوتِ لا بدَّ شـاربُه

[خاتمة]

قال أبو بكر الوالبي، رحمه الله تعالى: هذا جملة ما تناهى إلينا من أخبار المجنون وأشعاره، وما كان منحولاً من قصيدة أو خبر أعرضنا عن كتبه. والله سبحانه وتعالى أعلم(*).

(*) إلى هنا ينتهي بحمد الله تعالى تحقيق كتاب «ديوان قيس بن الملوح» الشهير بـ «مجنون ليلى العامرية» مراجعاً على عدة نسخ وانتهينا منه ظهر يوم الأحد الموافق ٤ من جمادى الأولى سنة ١٤١٠ هـ الموافق ٣ من ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٨٩م والله العلي العزيز ولي التوفيق.

فهرس القوافي

فهرس القوافي

(الخاء)

(الدال)

(الراء)

(الشين)

(النون)

(الهاء)

(الياء)